قطب القرآن
وأسس قيام الممالك
وبقاء العمران

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ/٢٠١٨م

رقم الإيداع

٢٠١٧/٢٣٨١٤

دار الإيمان للمعرفة

١ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

تليفون/ ٠١٠٠٥٧٦٠٦٦٣ - ٠١١١٨٩٣٣٦٢٤

بريد الكتروني/ elhbibmohamed@gmail.com

قطب القرآن

وأسس قيام الممالك وبقاء العمران

تأليف

دكتور/ محمد عبد العزيز العماري

دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن – جامعة الأزهر

١ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

تليفون/ ٠١٠٠٥٧٦٠٦٦٣ -

٠١١١٨٩٣٣٦٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن وجعله رحمة للعالمين، وموعظة وشفاء للمؤمنين. هو حبل الله المتين، والنور المبين، والذكر الحكيم والصراط المستقيم، وهو عصمة لمن اعتصم به، ونجاة وعز وشرف لمن تمسك به، من اتبعه كان على الهدى، ومن خالفه كان على ضلالة.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبد الله ورسوله المبعوث إلى الإنس والجان المؤيد بالقرآن معجزة له على طول الزمان الذي قال له ربه: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف:٤٣-٤٤] صل الله عليه وعلى آله وصحبه، الذين حملوا لواء القرآن عاملين به داعين الناس إليه؛ فدخل الناس في دين الله أفواجًا، وأقاموا بذلك أعظم حضارات البشرية، حضارة كان دستورها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فكان لهم العز والشرف...

وبعد:

فإن الله تعالى أنزل القرآن الكريم ليقوم الناس بالقسط، وليهديهم إلى الحق والخير في شئون دينهم ودنياهم؛ فجاء بتشريع محكم دقيق لا زيغ فيه ولا انحراف، ولا ظلم فيه ولا محاباة، ولا شدة فيه ولا عنف، منهج وسط للأمة الوسط لا إفراط فيه ولا تفريط، جاء بمنهج شامل كاف واف حدد فيه العلاقات ونظمها؛ فبين علاقة العبد بالخالق وعلاقة العبد بالمخلوقين؛ ليقيم بذلك مجتمعًا بشريًّا مثاليًّا متين البنيان قويّ

الأركان مجتمعًا، يقوم على العدل والإحسان ويتصف بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال وينأى عن الرذائل، مجتمعًا يعيش فيه أفراد الأمة متعاونين متراحمين متحابين في ظل شرع الله ودينه القويم.

والناظر في القرآن الكريم يجد أن جميع الأوامر والنواهي التي جاء بها القرآن الكريم لا تخلو من أمرين:

* إما تحقيق منفعة للناس في دينهم أو دنياهم.

* وإما درء مفسدة عنهم في دينهم أو دنياهم.

فكل ما جاء به القرآن الكريم مبني على مراعاة مصلحة العباد في الدنيا والآخرة.

ومراعاة لمصالح العباد أمر الله تعالى في كتابه العزيز بكل ما يؤدي إلى قيام المجتمعات البشرية وتماسكها وبقائها عزيزة قوية متآلفة مترابطة، ونهى عن كل ما يؤدي إلى سقوط وضياع وتفكك المجتمعات البشرية.

ومن ذلك تلك الآية الكريمة من سورة النحل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠] التي يدور في فلكها سائر التشريعات والأوامر والنواهي الإلهية، إنها آية جامعة وافية كافية؛ إنها تبيان للقرآن الكريم.

لقد أمر الله تعالى فيها بكل خير يحتاج إليه الناس ليسعدوا في دنياهم وأخراهم، ونهى فيها عن كل شر يؤدي إلى فساد الناس، وينغص عليهم دنياهم وأخراهم.

هذه الآية بحق هي قطب القرآن، وهي دستور الحياة الإنسانية المثلى؛ فقد أمر الله فيها بالعدل الذي به قامت السموات والأرض.

وأمر تعالى فيه بالإحسان الذي جوهره مراقبة الله تعالى في كل قول وفعل وعمل وتعامل مع الخالق تعالى أو الخلق.

وفيها الأمر بإيتاء ذي القربى ووصلهم بكل خير ممكن.

وهذه الأوامر هي عوامل قيام الأمم والمجتمعات وبقاءها.

ونهى الله تعالى فيها عن كل الفحشاء والمنكر والبغي فعم النهي عن كل شر وقبيح من الاعتقادات والأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، سواء منها ما تعلق بالخالق تعالى أو الخلق. وهذه الأمور هي عوامل الهدم والضياع والسقوط للأمم والمجتمعات.

فما أحوج الأمة اليوم إلى تدبر تلك الآية الكريمة، والاسترشاد بها في سائر أحوالها وجميع شئونها، والعيش في هديها وهداياتها.

دكتور / محمد عبد العزيز عبد النظير العماري
إمام بالأوقاف

<><> <><> <><>

الفصل الأول

فضل الآية وأقوال العلماء فيها

المبحث الأول

التعريف بسورة النحل

يجدر بي قبل أن أتناول الآية محل البحث أن أعرِّف بسورة النحل بإيجاز.

☜ أولا: اسمها:

سميت السورة في المصاحف وفي كتب التفاسير بسورة (النحل) والسبب في ذلك الآيات التي ذكر النحل فيها قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل:٦٨-٦٩].

فهذه المخلوقات الصغيرة التي تعمل بدقة ونظام عجيب، وتنتج بإلهام من الله تعالى فيها عبرة لمن تفكر وتدبر، إنها آية من الآيات الدالة على قدرة الله تعالى.

وتسمى أيضا (سورة النعم)[1].

وذلك لأن الله عز وجل عدد بعضاً من نعمه على عباده فيها وأخبر عن عجزهم عن عد نعمه عليهم فقال: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل:١٨] كما وعد سبحانه أن يتم نعمته عليهم فقال: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل:٨١].

---

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ١٥٣، البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ٢٦٩ (دار إحياء الكتب العربية)، تفسير القرطبي ١٠/ ١٦٥ (دار عالم الكتب) أحكام القرآن لابن العربي ٥/ ١٤٩.

☜ ثانياً: عدد آياتها:

آياتها: مائة وثمان وعشرون آية باتفاق[١].

☜ ثالثاً: سبب نزولها:

لم يذكر العلماء سببًا لنزول السورة كاملة، وإنما ذكروا أسبابا لبعض آياتها، فهذه السورة نزلت منجمة حسب الوقائع والأحداث.

☜ رابعاً: مكان نزولها:

نزلت هذه السورة في مكة، وقيل: إلا آيات منها نزلت في المدينة كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل:١٢٦-١٢٨]، فإنها نزلت عقيب أُحُد، نزلت في شأن التمثيل بحمزة وقتلى أحد. وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل:١١٠]، وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٥-٩٧].

وقال جابر بن زيد: نزل من أولها إلى الآية أربعين في مكة والباقي بالمدينة[٢].

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن١/ ١٧٥، الإتقان ١/ ٥.

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن١/ ١٧٥، القرطبي ١٠/ ١٦٥، الإتقان ١/ ٥٠، روح المعاني ١٤/ ٩٨

☜ خامساً: ترتيبها:

نزلت بعد سورة الكهف وقبل سورة نوح، فهي السورة التاسعة والستون في ترتيب النزول.

أما ترتيبها في المصاحف فهي السورة السادسة عشر بعد سورة الحجر وقبل الإسراء [١].

☜ سادسا: مقاصد السورة :

للسورة مقاصد كثيرة؛ منها:-

- إثبات أصول العقيدة ببيان وحدانية الله وربوبيته وقدرته تعالى، وإثبات البعث والحشر والحساب؛ وهو محور السورة ومقصدها الأساسي.
- وبيّنت السورة أن القرآن نزل به الروح الأمين على قلب النبي ﷺ، فهو كلام الله، وليس من كلام البشر.
- وبينت السورة بجانب الجانب العقدي جانب المعاملات والأخلاق؛ ففيها الأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، والوفاء بالعهد وعدم نقض الأيمان.
- وفيها أمر الله تعالى عبادها بالاستعاذة عند تلاوة القرآن.
- وبيّنت السورة فتنة المسلمين في دينهم، ومن أكره على الكفر من المؤمنين وهجرة المسلمين.
- وبينت السورة أن الله حرّم على المسلمين ما حرم على اليهود.

---

(١) انظر البرهان ١/ ١٩٣، الإتقان ١/ ٣٩

- وبنت السورة ثناء الله تعالى على خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، وأمر الله تعالى نبيه ﷺ بإتباع ملة إبراهيم حنيفًا.
- وختمت السورة ببيان كيفية الدعوة إلى الله تعالى، وأن العقاب يكون بالمثل، وأن الصبر أفضل، والصبر على المصائب، وأن الله مع المؤمنين المتقين المحسنين.

<><> <><> <><>

المبحث الثاني

فضل الآية وأقوال العلماء فيها

☜ أولا: نزول الآية:

قال الإمام ابن كثير: ورد في نزول هذه الآية الكريمة حديث حَسن، رواه الإمام أحمد: قال: حدثنا أبو النضر، حدثنا عبد الحميد، حدثنا شهر، حدثني عبد الله بن عباس قال: بينما رسول الله ﷺ بفناء بيته جالس، إذ مر به عثمان بن مظعون، فكشر إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «**ألا تجلس؟**» فقال: بلى. قال: فجلس رسول الله ﷺ مستقبله، فبينما هو يحدثه إذ شَخَص رسول الله ﷺ ببصره في السماء، فنظر ساعة إلى السماء فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يَمْنته في الأرض، فتحرَّف رسول الله ﷺ عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره، فأخذ يُنْغِض رأسه كأنه يسْتَفْقِهُ ما يقال له، وابن مظعون ينظر، فلما قضى حاجته واستفقه ما يقال له، شخص بصر رسول الله ﷺ إلى السماء كما شخص أول مرة. فأتبعه بصره حتى توارى في السماء. فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى فقال: يا محمد، فيما كنت أجالسك؟ ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة! قال: «**وما رأيتني فعلت؟**» قال: رأيتك شَخَص بصرُك إلى السماء ثم وضعتَه حيث وضعته على يمينك، فتحرفت إليه وتركتني، فأخذت تنغض رأسك كأنك تستفقه شيئا يقال لك. قال: «**وفطنت لذلك؟**» فقال عثمان: نعم. قال رسول الله ﷺ: «**أتاني رسول الله آنفا وأنت جالس**». قال: رسولُ الله؟ قال: «**نعم**». قال: فما قال لك؟ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠] قال عثمان: فذلك حين استقر الإيمان في قلبي، وأحببت محمدًا ﷺ.

إسناد جيد متصل حسن، قد بُيِّن فيه السماع المتصل. ورواه ابن أبي حاتم، من حديث عبد الحميد بن بَهرام مختصرًا.

حديث آخر: عن عثمان بن أبي العاص الثقفي في ذلك، قال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا هُرَيْم، عن لَيْث، عن شَهْر بن حَوْشَب، عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت عند رسول الله ﷺ جالسًا؛ إذ شَخَصَ بَصره فقال: «**أتاني جبريل، فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة:** ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠]»[(١)].

أورد الإمام قصتين متشابهتين رواهما شهر بن حوشب؛ وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام[(٢)].

الأولى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قصة إسلام عثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسّن الإمام ابن كثير هذه القصة كما هو واضح من كلامه السابق.

وذكر أيضا هذه القصة الإمام الهيثمي مجمع الزوائد وقال: رواه أحمد والطبراني وشهر وثقه أحمد وجماعة وفيه ضعف لا يضر، وبقية رجاله ثقات[(٣)].

والحديث في مسند أحمد وقال الشيخ شعيب الأرنئوط: إسناده ضعيف [(٤)].

وأميل إلى ما قاله الإمام ابن كثير بأن الحديث حسن، وحسّنه أيضا الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند. وعثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسلم بمكة قديما كان إسلامه بعد ثلاثة عشر رجلا [(٥)].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٥١٧.

(٢) تقريب التهذيب ٢٦٩ ت ٢٨٣٠ (دار الرشيد – سوريا).

(٣) مجمع الزوائد ٧/ ١٣٦ كتاب التفسير/ باب سورة النحل (دار الفكر – بيروت).

(٤) ١/ ٣١٨ ح ٢٩٢٢ ٠(مؤسسة قرطبة – القاهرة).

(٥) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٤٦١ ت ٥٤٥٧ ، دار الجيل – بيروت).

والقصة الثانية عن شهر عن عثمان بن أبي العاص وفي إسنادها ليث بن أبي سليم قال عنه ابن حجر: صدوق اختلط جدًّا ولم يتميز حديثه فتُرك[١].

كما أن عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسلم مع وفد ثقيف[٢].

وقد جاء وفد ثقيف إلى رسول الله ﷺ وأسلموا في رمضان سنة تسعة من الهجرة[٣].

وهذا يرجح الخطأ في حديث ليث وأنه أشتبه عليه عثمان بن مظعون بعثمان أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والله أعلم.

☜ ثانيا: صلة الآية بما قبلها:

ترتبط الآية بما قبلها من وجوه منها:

الأول: ختم المقطع السابق بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]

وذكر هنا بعض ما في آيات الكتاب من التبيان والهدى والرحمة والبشرى للمسلمين.

ثانيا: قال الإمام الفخر: لما استقصى في شرح الوعد والوعيد والترغيب والترهيب أتبعه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ فجمع في هذه الآية ما يتصل بالتكليف فرضًا ونفلًا، وما يتصل بالأخلاق والآداب عمومًا وخصوصًا[٤].

---

(١) انظر التقريب ٤٦٤ ت ٥٦٨٥.

(٢) الإصابة ٤/ ٤٥١ ت ٥٤٤٥.

(٣) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٥٣٧.

(٤) تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٢٥٨ (دار إحياء التراث العربي).

ثالثا: فيما تقدم من الآيات ثناء على الذي يأمر بالعدل قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل:٧٦].

وذكر في هذه الآيات أن الله عز وجل يأمر بالعدل.

☜ صلة الآية بما بعدها:

قال الإمام البقاعي: ولما تقررت هذه الجمل التي جمعت - بجمعها للمأمورات والمنهيات ما تضيق عنه الدفاتر والصدور، وشهد لها المعاندون من بلغاء العرب أنها بلغت قاموس البحر وتعالت عن طوق البشر، عطف على ما أفهمه السياق - من نحو: فتذكروا أو فالزموا ما أمرتم به ونابذوا ما نهيتم عنه - بعض ما أجملته[1] فمن العدل والإحسان الوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة على الأيمان، ومن الفحشاء والمنكر الغدر بنقض الإيمان بعد توكيدها واتخاذها وسيلة للخديعة والمكر.

إن أوامر الله تعالى ونواهيه عهد وميثاق منه تعالى لعباده؛ ولهذا أمر تعالى بعدها بالوفاء بعهده وميثاقه فقال: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل:٩١].

جاء الأمر في هذه الآية بالإحسان وإيتاء ذي القربى، وقد يعطي الإنسان مما عنده فيظن أن في ذلك خسارة، فأخبر سبحانه في الآية بعدها أن ما أودعه العبد عند ربه باق لا ينفد. قال تعالى ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٦].

أمر الله تعالى في هذه الآية بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، والآيات بعدها كالجزاء على من التزم بتلك الأعمال والأخلاق قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ

(١) نظم الدرر ٤/ ٣٠٥.

أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

☜ ثالثًا: ما تضمنته الآية:

لقد تضمنت هذه الآية مع إيجازها على السلوكيات والمبادىء الأساسية التي بها قوام المجتمع وتماسكه؛ ففيها: الأمر بالعدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى، والنهي عن الفحشاء، والمنكر، والبغي، وهذه الأوامر والنواهي مما يعظ الله به عباده ليتذكروا.

☜ رابعًا: فضل الآية وأقوال العلماء فيها:

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠].

اشتملت هذه الآية على مجموعة من الأوامر والنواهي بها صلاح الحال والمآل، فقد دعت هذه الآية إلى محاسن الأعمال ومكارم الأخلاق.

قال القرطبي: وهذه الآية قد تضمنت بحكم عمومها وصحة مفهومها معاني كتب المتقدمين وشرائع الماضين وتذكره الحاضرين، وتخويف المقصرين وترغيب المجتهدين، مع ما هي عليه من قلة الكلمات ومع عذوبة المساق والجزالات [(١)].

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما في القرآن آية أجمع لحلال وحرام وأمر ونهي من هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحل:٩٠][(٢)].

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام - ٣٣٠ - (دار التراث العربي).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب ١٧١ ح٤٨٩ وحسنه الشيخ الألباني (دار البشائر الإسلامية - بيروت)، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣١٨ ح ٣٣٥٨ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

وقال البيضاوي: لو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين [١].

وقال العز بن عبد السلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾، وهذا أمر بالمصالح وأسبابها، ونهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، وهذا نهي عن المفاسد وأسبابها [٢].

ونقل صاحب السيرة الحلبية عن العز بن عبد السلام أنه قال في هذه الآية: إنها اشتملت على جميع الأحكام الشرعية، وبين ذلك في سائر الأبواب الفقهية [٣].

ولهذه الآية وقع وتأثير كبير في نفوس الناس خاصة البلغاء منهم؛ ولهذا كما ذكر أصحاب السير كان النبي ﷺ يقرأها على من يدعوهم إلى الإسلام؛ فقرأها ﷺ على بني شيبان بن ثعلبة حين دعاهم إلى الإسلام عندما كان يعرض نفسه على قبائل العرب، وكان فِيهِمْ مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو، وَهَانِئُ بْنُ قَبِيصَةَ، وَمُثَنّى بْنُ حَارِثَةَ، وَالنّعْمَانُ بْنُ شَرِيكٍ، وَكَانَ مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو قَدْ غَلَبَهُمْ جَمَالًا وَلِسَانًا... فَقَالَ مَفْرُوقٌ : وإلامَ تَدْعُو أَيْضًا يَا أَخَا قُرَيْشٍ؟ فَتَلَا رَسُولُ الله ﷺ: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١﴾ [الأنعام:١٥١] .

فَقَالَ مَفْرُوقٌ: وإلام تَدْعُو أَيْضًا يَا أَخَا قُرَيْشٍ؟ فَتَلَا رَسُولُ الله ﷺ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠].

---

(١) تفسير البيضاوي ٤١٦.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١٣١، دار المعارف بيروت – لبنان.

(٣) السيرة الحلبية ٢/ ١٥٧.

فَقَالَ مَفْرُوقٌ: دَعَوْت وَاَللهِ يَا أَخَا قُرَيْشٍ إلَى مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَاَللهِ لَقَدْ أَفِكَ قَوْمٌ كَذَّبُوك، وَظَاهَرُوا عَلَيْك [١].

وذكروا أيضا أن النبي ﷺ قرأها على الوليد بن المغيرة وكان فصيحًا بليغًا، وكانوا يسمونه ريحانة قريش، فلما سمعها قال للنبي ﷺ: أعد. فأعاد فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر، وإنه ليعلو ولا يعلى [٢].

وذكروا أيضًا أن أكثم بن صيفي لما بلغه ظهور رسول الله ﷺ أرسل إليه رجلين يسألانه عن نسبه وما جاء به فأخبرهما وقرأ عليهما: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠].

فعادا إلى أكثم فأخبراه وقرءا عليه الآية، فلما سمع أكثم ذلك قال: يا قوم، أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهي عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رءوسًا ولا تكونوا أذنابًا، وكونوا فيه ولا تكونوا فيه آخرًا [٣].

لقد جمعت هذه الآية مكارم الأخلاق ذكر السيوطي في الدر المنثور قال: أخرج ابن النجار في تاريخه من طريق العكلي، عن أبيه قال: مر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوم يتحدثون فقال: فيم أنتم؟! فقالوا: نتذاكر المروءة، فقال: أوما كفاكم الله عز وجل ذاك

---

(١) انظر الروض الأنف ٢/ ٢٣٧(مصدر الكتاب: موقع الإسلام).

(٢) انظر السيرة الحلبية ٣/ ٣٤٤ (دار المعرفة).

(٣) أسد الغابة ١/ ٧٠ وذكر هذا الخبر ابن منده عن عبد الملك بن عمير بإسناد ضعيف لأنفيه عمر بن علي بن عطاء بن مقدم ثقة شديد التدليس ولم يصرح بالسماع انظر التقريب ٤١٦ ت ٤٩٥٢، وعلي بن عبد الملك بن عمير مجهول الحال لم يرو عن غير أبيه، ولم يرو عنه غير عمر بن علي المقدمي ذكره ابن حبان في الثقات ٧/ ٢٠٦ ت ٩٦٩٥ (دار الفكر).

في كتابه إذ يقول الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾؟! فالعدل الإنصاف. والإحسان، التفضل، فما بقي بعد هذا؟[١].

وقال قتادة: ليس من خُلُق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به، وليس من خلق سيئ كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهي الله عنه وقدم فيه. وإنما نهي عن سفاسف الأخلاق ومذامها[٢].

وجاء في الحديث الذي أخرجه الحاكم والطبراني عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كريم يحب الكرم ومعالي الأخلاق ويبغض سفسافها**»[٣].

ويستحب قراءتها يوم الجمعة في أخر الخطبة.

قال النسفي: وهي أجمع آية في القرآن للخير والشر؛ ولهذا يقرأها كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة لتكون عظة جامعة لكل مأمور ومنهي[٤].

ويرى المالكية عدم استحباب قراءتها[٥].

قلت: وقراءتها من قبيل المباحات فمن قراءها لما تضمنته من معاني فلا حرج، ومن تركها فلا حرج.

---

(١) الدر المنثور ٦/ ١٦٣ (مصدر الكتاب موقع التفاسير http: //www.altafsir.com).

(٢) ابن كثير ٤/ ٥٩٦.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٦/ ١٨١ ح ٥٩٣٨ (مكتبة العلوم والحكم - الموصل) والحاكم في المستدرك ١/ ١١١ ح١٥١ وقال: هذا حديث صحيح الإسنادين جميعا ولم يخرجاه، وحجاج بن قمري شيخ من أهل مصر: ثقة مأمون ولعلهما أعرضا عن إخراجه بأن الثوري أعضله تعليق الذهبي في التلخيص: تفرد به أحمد بن يونس عنه (دار الكتب العلمية - بيروت)، وصححه الذهبي في السلسلة الصحيحة ٢/ ٤٥٢ ح ١٣٧٨.

(٤) تفسير النسفي ٢/ ٢٤٧ (: دار النفائس ـ بيروت).

(٥) بلغة السالك لأقرب المسالك ١/ ٣٣٢.

الدراسات السابقة:

هذه الآية الكريمة هي أجمع آية في كتاب الله تعالى وهي تبيان لكل شيء؛ ولذا اهتم العلماء بإفرادها بالبحث والدراسة محاولين الوقوف على ما تضمنه من معانٍ جليلة، ولهم فيها مؤلفات قيمة، من هذه الدراسات ما يلي:-

١ - فتح الرحيم الرحمن في تفسير آية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ - تأليف أبي الحسن على بن عبد الرحمن ابن الخطيب محمد الشربينى المصري الشافعي المتوفى ٣٩٢ هـ [١].

٢ - غاية الإحسان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾تأليف: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان بن عبد العزيز البعلي الموصلي شمس الدين الشافعي المتوفى بطرابلس الشام سنة ٧٧٤ هـ [٢].

٣ - قلائد العقيان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ / لمرعى بن يوسف الكرمي المقدسي المصري الحنبلي المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ [٣].

<><> <><> <><>

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٤/ ١٦٥ - مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي، دار الكتب العلمية-١٤١٣ - ١٩٩٢.

(٢) هدية العارفين ٢/ ٣٤ - المؤلف: الباباني - مصدر الكتاب: موقع الوراق

- http: //www.alwarraq.com

(٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٤/ ١٩٥.

الفصل الثاني

الأوامر والنواهي التي بها قوام المجتمع وبقاؤه

المبحث الأول

المأمـــــورات

قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠].

افتتح الله تعالى الآية بقوله (إِنَّ) التي تفيد التوكيد للاهتمام بشأن ما حوته، وتصديرها باسم الجلالة للتشريف[١].

واختيار صيغة المضارع في الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾، ﴿وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ لإفادة التجدد والاستمرار[٢].

هذه الآية الكريمة أمر الله عز وجل فيها بثلاثة أمور ونهى عن ثلاثة. وقد دلت بمنطوقها ومفهموها على جميع الأوامر والنواهي والأخلاق والمعاملات التي بها بقاء الأمة وتماسكها.

والآية قسمان قسم المأمورات وهو المبحث الأول، وقسم المنهيات وسيأتي بيانه في المبحث الثاني إن شاء الله.

القسم الأول: المأمورات: أمر الله عز وجل بثلاثة أمور؛ هي العدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى.

---

(١) نظر التحرير والتنوير ١٤/ ٢٥٤.

(٢) انظر تفسير أبي السعود ٥/ ١٦٣.

☜ الأمر الأول: العدل:

والعدل في اللغة: قال ابن فارس: العين والدال واللام أصلان صحيحان، لكنَّهما متقابلان كالمتضادَّين: أحدُهما يدلُّ على استواء، والآخر يدلُّ على اعوجاج.

فالأول العَدْل من النَّاس: المرضيّ المستوِي الطّريقة. يقال: هذا عَدْلٌ، وهما عَدْلٌ.

والعَدْل: الحكم بالاستواء.

ويقال للشَّيء يساوي الشيء: هو عِدْلُه. وعَدلْتُ بفلانٍ فلانًا، وهو يُعادِله.

والمُشْرِك يَعدِل بربِّه، تعالى عن قولهم عُلُوًّا كبيرًا، كأنه يسوِّي به غيره.

ومن الباب: العِدْلان: حِمْلا الدَّابّة، سمِّيا بذلك لتساويهما. والعَديل: الذي يعادلك في المَحْمِل. والعَدْل: قِيمة الشيء وفِدَاؤُه. قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة:١٢٣] أي فِدْية. وكلُّ ذلك من المعادَلة، وهي المساواة.

والعَدْل: نقيض الجَوْر، تقول: عَدَل في رعيته. ويومٌ معتدل، إذا تساوَى حالا حرِّه وبَرْدِه، وكذلك في الشيء المأكول. ويقال: عدَلْتُه حتى اعتدل، أي أقمته حتى استقامَ واستوَى.

وأمّا الأصل الآخَر فيقال في الاعوجاج: عَدَل. وانعدَلَ، أي انعَرَج[١].

وقال ابن منظور: العدل ما قام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور[٢].

قال الفيروزابادي: وقيل: العَدْل يستعمل فيما يدرك بالبصيرة كالأحكام، كقوله تعالى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة:٩٥]. والعِدل -بالكسر- والعَدِيل فيما يدرك بالحاسّة كالموزونات والمعدودات والمكِيلات. والعَدْل: هو التقسيط على سواء، وعلى هذا رُوي: «بالعَدْلِ قامت السّماوات والأَرض»[٣]، تنبيهًا أَنَّه لو كان ركن من الأَركان

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٤/ ٢٤٦: ٢٤٧.

(٢) لسان العرب ١١/ ٤٣٠.

(٣) يشير بهذا إلى ما قاله اليهود لعبد الله بن رواحة عندما بعثه النبي ليخرص عليهم ثمرهم، والحديث أخرجه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ٢/ ٣٦٧ ح ١٤٩٦٦ قال شعيب =

الأَربعة في العالم زائدًا على الآخر أَو ناقصًا عنه على مقتضى الحكمة لم يكن العالَمُ منتظمًا.

والعَدل ضربان: مطلق يقتضى العقلُ حسنه، ولا يكون في شيءٍ من الأَزمنة منسوخًا، ولا يوصف بالاعتداءِ بوجه، نحو الإِحسان إِلى من أَحسن إِليك، وكفّ الأَذى عَمّن كَفَّ أَذاه عنك. وعَدْل يعرف كونه عدلا بالشرع، ويمكن أَن يكون منسوخًا في بعض الأَزمنة كالقصاص وأَرش الجنايات وأَخذ المال المرتدّ؛ ولذلك قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:١٩٤]، قال: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠] فسمّى ذلك سيّئة واعتداء. وهذا النحو هو المعنىّ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠]، فإِنَّ العدل هو المساواة في المكافأَة إِنْ خيرًا فخيرٌ وإِن شرًّا فشرّ [١].

فالعدل هو التوسط والإنصاف والمساوة بين طرفين.

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأصله التوسط بين المرتبتين، أي: الإفراط والتفريط، فمن جانب الإفراط والتفريط فقد عدل [٢].

وذكر العلماء في المراد (بالعدل) هنا وجوها، منها:

الأول: العدل هو قول «لا إله إلا الله» قاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الثاني: العدل هو الإخلاص في التوحيد.

الثالث: العدل هو الإنصاف قاله الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الرابع: العدل استواء السريرة والعلانية قال سفيان بن عيينة.

=

الأرنئوط: إسناده قوي على شرط مسلم. قلت: وأبو الزبير مدلس وقد صرح بسماعه من جابر في إحدى روايات الحديث عند أحمد وهي رواية مختصرة ٣/ ٢٩٦ .

(١) بصائر ذوي التمييز .

(٢) أضواء البيان ٢/ ٤٣٧.

الخامس: العدل في الأفعال.

السادس: العدل الفرض.

السابع: والعدل فعل كل مفروض من عقائد، وشرائع، وسير مع الناس في أداء الأمانات، وترك الظلم والإنصاف، وإعطاء الحق قاله أبو حيان.

الثامن: قال ابن تيمية: العدل وضع كل شيء في موضعه كما أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه[١].

قلت: وجميع ما ذكره العلماء صحيح مقبول ولكن القول بالعموم أولى لعموم الآية.

قال ابن عادل: ولم يذكر متعلقات العدل والإحسان والبغي ليعم جميع ما يعدل فيه ويحسن إليه وبه ويبغى فيه[٢].

وقال الإمام الفخر: أما العدل فهو عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وذلك أمر واجب الرعاية في جميع الأشياء[٣].

وهو بهذا المعنى صفة للمسلمين قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣]

قال الإمام الفخر: أي متباعدين عن طرفي الإفراط والتفريط[٤].

---

(١) انظر جميع الوجوه في جامع البيان للطبري ٩/ ٢٧٩ أضواء البيان ٢/ ٤٣٧، ابن كثير ٤/ ٥٩٥، القرطبي ١٠/ ١٦٥، البحر المحيط ٥/ ٥١٣، الاستقامة ١/ ٤٦٤.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ١٢/ ١٤٣.

(٣) الفخر الرازي ٢٠/ ٢٦٣.

(٤) الفخر ٢٠/ ٢٦٣ .

فالوسط العدل أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ في قوله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣] قال عدلا(١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء:٢٩].

وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان:٦٧].

والأمة بهذه الوسطية خير أمة أخرجت للناس قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠] فخير الأمور أوساطها(٢) كما قال مطرف بن عبد الله(٣).

إن العدل الذي أمر الله عز وجل به ووصف به الأمة عام وشامل لكل ما يوصف بالعدل، وهذا الأمر يفهم منه النهي عن خلافه وهو الظلم هو نهي عام وشامل أيضًا، فالله تعالى نهي عن الظلم وحذر منه: أخرج مسلم عَنْ أَبِى ذَرٍّ عَنِ النَّبِي - ﷺ- فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا**»(٤).

وأخرج أحمد عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**»(٥).

---

(١) المسند ٢/ ٩ ح ١١٠٨٣ قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرج ذلك عنه ابن ابي شيبة في المصنف ١٣/ ٤٧٩ ح٣٦٢٧٣، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٤٠٢ ح ٣٨٨٨، وقال الشيخ الألباني إسناده صحيح موقوف.

(٣) مطرف بن عبد الله بن الشخير بكسر الشين أبو عبد الله البصري ثقة عابد فاضل مات سنة خمس وتسعين (انظر التقريب ٥٣٤) ت ٦٧٠٦.

(٤) ٨/ ١٦ ح ٦٧٣٧ كتاب البر والصلة - باب تحريم الظلم.

(٥) ٢/ ١٠٥ ح ٥٨٣٢ قال شعيب الأرنئوط: صحيح.

☜ صور العدل:

ويمكن أن نلخص صور العدل في ثلاث صور:-

- الصورة الأولى: العدل في معاملة العبد مع خالقه.
- الصورة الثانية: العدل في معاملة العبد مع الخلق.
- الصورة الثالثة: العدل مع النفس.

☜ أولا: العدل في معاملة العبد مع خالقه:

إن أولى وأول ما ينبغي العدل معه هو الله سبحانه وتعالى الذي خلق ورزق وأنعم بنعم لا تحصى ولا تعد.

فمن عرف ربه حق المعرفة أدى حقه واستقام على أمره وشرعه.

وأول حق لله تعالى هو توحيده وإفراده سبحانه بالعبادة؛ ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما العدل: قول لا إله إلا الله.

قال الإمام ابن جرير: يقول تعالى ذكره: إن الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله إليك يا محمد بالعدل، وهو الإنصاف.

ومن الإنصاف: الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته، والشكر له على إفضاله، وتولي الحمد أهله. وإذا كان ذلك هو العدل، ولم يكن للأوثان والأصنام عندنا يد تستحقّ الحمد عليها، كان جهلًا بنا حمدها وعبادتها، وهي لا تنعِم فتشكر، ولا تنفع فتعبد، فلزمنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له[1].

إن حق الله عز وجل إخلاص العبادة له وحده لا شريك له.

أخرج البخاري عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٢٧٩.

وَبَيْنَهُ إِلَّا أَخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**» قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**» قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى عِبَادِهِ؟**» قُلْتُ" الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**حَقُّ الله عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**» ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى الله إِذَا فَعَلُوهُ؟**» قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «**حَقُّ العِبَادِ عَلَى الله أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ**»(١).

فمن لم يؤد هذا الحق لله بأن عبد غير الله أو أداه غير خالصًا لله كأن أشرك معه غيره كان ظالمًا، فتوحيد الله هو رأس العدل وأعظمه، كما أن الشرك رأس الظلم وأعظمه. أخرج مسلم عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ**﴾ [الأنعام:٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ وَقَالُوا: أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾** [لقمان: ١٣]»(٢).

فالشرك هو أقبح الذنوب وأعظمها وهو الظلم الذي لا يغفر أبدًا أخرج مسلم عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ الله؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»(٣).

إن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وأقبح وأشنع ما يكون أن تكون العبادة لغير الله الذي خلق ورزق، ومن الظلم أيضا أن يسوي العبد بربه أحدًا أو شيئا.

---

(١) ١٨/ ٣٥٤ ح ٥٥١٠ (كتاب اللباس/ باب إرداف الرجل).

(٢) ١/ ٨٠ ح ٣٤٢ (كتاب الإيمان/ باب صدق الإيمان).

(٣) ١/ ٦٣ ح ٢٦٧ ٠(كتاب الإيمان – باب كَوْنِ الشِّرْكِ أَقْبَحَ الذُّنُوبِ).

إن الإنسان لا يرضى أن يصنع خيرًا لإحد من الناس ثم يشكر غيره على فعله فكيف يعبد أو يشكر غير الله على نعم الله؟!

وهذا المعنى مما أوحى الله به إلى يحيى عليه السلام.

أخرج الترمذي في سننه عن الحارث الأشعري عن النبي ﷺ قال: «**إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يبطئ بها فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم وإما أنا آمرهم، فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ المسجد وقعدوا على الشرف، فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن: أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو ورق فقال: هذه داري وهذا عملي، فاعمل وأد إلي، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟**»[1] إن عبدًا يفعل ذلك لظالم حقًّا، ولا يرضى بذلك الفعل أحدٌ أبدًا.

وإتماما للفائدة أذكر كلام الإمام الفخر في بيان العدل مع الله، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: الأحوال التي وقع التكليف بها إما الاعتقادات وإما أعمال الجوارح. أما الاعتقادات: فالعدل في كلها واجب الرعاية فأحدها: قال ابن عباس: إن المراد بالعدل هو قول لا إله إلا الله، وتحقيق القول فيه أن نفي الإله تعطيل محض وإثبات أكثر من إله واحد تشريك وتشبيه وهما مذمومان، والعدل هو إثبات الإله الواحد وهو قول لا إله إلا الله.

وثانيها: أن القول بأن الإله ليس بموجود ولا شيء تعطيل محض، والقول بأنه

---

(١) ٥/ ١٤٨ ح ٢٨٦٣ (كتاب الأمثال – باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة) وصححه الألباني

جسم وجوهر مركب من الأعضاء، ومختص بالمكان تشبيه محض، والعدل إثبات إله موجود متحقق بشرط أن يكون منزهًا عن الجسمية والجوهرية والأعضاء والأجزاء والمكان.

وثالثها: أن القول بأن الإله غير موصوف بالصفات من العلم والقدرة تعطيل محض، والقول بأن صفاته حادثة متغيرة تشبيه محض. والعدل هو إثبات أن الإله عالم قادر حي، مع الاعتراف بأن صفاته ليست حادثة ولا متغيرة.

ورابعها: أن القول بأن العبد ليس له قدرة ولا اختيار جبر محض، والقول بأن العبد مستقل بأفعاله قدر محض وهما مذمومان، والعدل أن يقال: إن العبد يفعل الفعل لكن بواسطة قدرة وداعية يخلقهما الله تعالى فيه.

وخامسها: القول أن الله تعالى لا يؤاخذ عبده على شيء من الذنوب مساهلة عظيمة، والقول بأنه تعالى يخلد في النار عبده العارف بالمعصية الواحدة تشديد عظيم، والعدل أنه يخرج من النار كل من قال واعتقد أنه لا إله إلا الله.

فهذه أمثلة ذكرناها في رعاية معنى العدل في الاعتقادات[1].

قال ابن العربي: فَالعَدْلُ بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّهِ إِيثَارُ حَقِّ الله عَلَى حَظِّ نَفْسِهِ، وَتَقْدِيمُ رِضَاهُ عَلَى هَوَاهُ، وَالِاجْتِنَابُ لِلزَّوَاجِرِ، وَالِامْتِثَالُ لِلْأَوَامِرِ[2].

وبالجملة فإن العدل مع الله يعني الإيمان به وتوحيده وإخلاص العبادة له عز وجل، وتنزيهه عن كل نقص، ووصفه بصفاته التي وصف بها نفسه، وأداء ما أمر به، واجتناب ما نهي عنه.

---

(١) الفخر ٢٠/ ٢٦٣.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٥/ ١٩٨.

ثانيا: العدل في معاملة الخلق:

إذا أطلقت كلمة (العدل) فأول ما يتبادر إلى الذهن من مدلولاتها (العدل مع الخلق)، والمراد به الإنصاف وهو خلاف الجور والظلم.

والعدل في معاملة الخلق: يراد به إعطاء كل ذي حق حقه دون مجاملة أو تمييز.

وبهذا أرسل الله الرسل وأنزل الكتب قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:٢٥].

وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]

وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨﴾ [الرحمن:٧-٨]

قال الإمام ابن كثير: أي: خلق السموات والأرض بالحق والعدل، لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ وهذا عام في كل ما يوصف بالعدل أو الظلم، فيشمل الأقوال والأعمال والحكم والقضاء والشهادة، والبيع والشراء والأخذ والعطاء والكيل والميزان، ومع الأمهات والأباء والأزواج والأبناء، والأولياء والأعداء والأقارب والغرباء والمؤمنين والكفار ومع النفس والغير.

---

(١) تفسير ابن كثير ٧/ ٤٩٠.

إن العدل الذي أمر الله به شامل عام لكل الأعمال والأقوال والأحوال، ومع كل الناس وفي الرضا والغضب، وعلى كل حال من الأحوال.

قال الإمام ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا العَدْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الخَلْقِ فَفِي بَذْلِ النَّصِيحَةِ، وَتَرْكِ الخِيَانَةِ فِيمَا قَلَّ وَكَثُرَ، وَالإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِك لَهُمْ بِكُلِّ وَجْهٍ، وَلَا يَكُونُ مِنْك إلَى أَحَدٍ مَسَاءَةٌ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ، لَا فِي سِرٍّ وَلَا فِي عَلَنٍ، حَتَّى بِالهَمِّ وَالعَزْمِ، وَالصَّبْرُ عَلَى مَا يُصِيبُك مِنْهُمْ مِنْ البَلْوَى، وَأَقَلُّ ذَلِكَ الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِك وَتَرْكُ الأَذَى[1].

وهذا الكلام يدل على إن صور العدل لا تكاد تحصى، أذكر من صوره على سبيل المثال:

- أولا: العدل في الحكم .
- ثانيا:العدل في الشهادة والقضاء .
- ثالثا: العدل داخل الأسرة .
- رابعا: العدل في الكيل والميزان .

☜ أولا: العدل في الحكم:

ويندرج تحت هذا النوع كل من له ولاية على من دونه من الملوك والحكام والولاة، والوزراء والرؤساء والمديرين.

وهؤلاء جميعًا أمرهم الله تعالى أن يقوموا بالعدل في سائر الأمور والتصرفات والأعمال ومع كل الناس.

جاء في كتاب المفصل لأحكام الهجرة: إن العدالة المطلقة في الإسلام مبدأ من مبادئ نظام الحكم الإسلامي، وأساس كل علاقة إنسانية سواء بين الأصدقاء أم

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٥/ ١٩٨.

الأعداء؛ لأن العدل قوام العالمين في الدنيا والآخرة، وبالعدل قامت السموات والأرض، والعدل أساس الملك، وأما الظلم فهو طريق خراب المدنيات وزوال السلطان[١].

إن الحاكم ينبغي أن يكون للرعية مثل الوالد الشفوق الرحيم بأولاده؛ فلا يختص دونهم بشيء ولا يمنع عنهم خير وقادر على أن يوصله إليهم، ولا يصيبهم شر هو قادر على أن يدفعه عنهم، ولا يفضل بعضهم على بعض، وأن يقوم فيهم بالعدل.

والعدل أشرف أوصاف الملك وأقوم لدولته، والعدل ميزان الله في الأرض وهو قوام الدنيا والدين وسبب صلاح الرعية، وقد ندب الله تعالى الخلق إليه وحثهم عليه، أما الظلم فهو أسوأ أوصاف الملك فمن ظلم فقد عرض ملكه للزوال ورعيته للفساد ودينه للخبال، فالملك كم قيل يبقى على الكفر مع العدل ولا يبقى على الإسلام مع الظلم[٢].

ذُكر أن كسرى قال: كل ملك أخذ من رعيته شيئًا ظلمًا لا يفلح أبدًا، وترتفع البركة من أرضه، ويكون وبالًا عليه... وقال: المُلك بالملك، والملك بالجند، والجند بالمال، والمال بعمارة البلاد، وعمارة البلاد بالعدل في الرعية، فلزمت العدل واعتمدت عليه فأمنت الرعايا وعمرت البلاد.

وهذا الكلام الذي قال كسرى ينطبق على القول المأثور عن حكماء الهند: لا مُلك إلا بالرجال، ولا رجال إلا بالمال، ولا مال إلا بالرعية، ولا رعية إلا بالعدل[٣].

---

(١) المفصل في أحكام الهجرة ٤/ ٤٨.

(٢) انظر المنهج المسلوك في سياسة الملوك ٢٤٢، الموسوعة الفقهية الكويتية ٤٥/ ١٤٦، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك ٦٠، مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨/ ١٤٦ من جميعها بتصرف كبير.

(٣) انظر السمير المهذب ٢/ ١٣٢: ١٣٣ وانظر الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء ٨٠، مكتبة نزار مصطفى – الرياض.

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الله تعالى جمع الخير كله والشر كله في ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠]. وقال: إن استقامة الملك بالثلاثة المأمور بها في الآية واضطرابه بالثلاثة المنهي عنها فيها(١).

إن الحكم بالعدل مسئولية من مسئوليات الحاكم التي يسأل عنها يوم القيامة كما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم عن ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(٢).

ولكي يحكم الحاكم بالعدل لا بد أن يحكم وفق شرع الله ودينه، فالعدل كل العدل ما جاء عن الله تعالى، وبه صلاح البلاد والعباد فالله هو الذي خلق الخلق، وهو الذي يعلم ما يصلحهم، فشرع لهم من الأحكام والشرائع ما فيه صلاح دنياهم وأخراهم، أما الحكم بغير شرع الله يؤدي إلى الخبال والعنت وضياع الحقوق، ولقد أمر الله تعالى العباد أن يحكموا بما أنزل لا يحيدون عنه وحذر من ذلك فقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥]، وقال ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧].

يقول الدكتور عبد الرءوف شلبي: بينت الآيات أن الحكم بغير ما أنزل الله مآله إلى الكفر أو الظلم أو الفسق بمعنى أن الله لم يجعل الحياة التي هي أقوم إلا في هدي كتابه الكريم وأن الحكم بما سواه إما مبعثه الكفر أو الظلم أو الفسق(٣).

---

(١) المنهج المسلوك في سياسة الملوك ٢٤٣.

(٢) ٦/ ٧ ح ٤٨٢٨ كتاب الإمارة – باب فَضِيلَةِ الإِمَامِ العَادِلِ وَعُقُوبَةِ الجَائِرِ .

(٣) الدعوة الإسلامية في عهدها المدني مناهجها وغاياتها ٥٧.

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يحكم بما أنزل فقال له: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة:٤٨]، وإذا كان هذا مع اليهود فهو أيضا مع كل أحد.

ولكي يحقق الحاكم العدل لا بد أن يجعل الجميع أمام الشرع والقانون سواء، لا فرق بين شريف ووضيع ولا غني وفقير، وألا يقبل شفاعة في حد من حدود الله، ولا شفاعة في إبطال حق أو إحقاق باطل، وبذلك تستقيم أحوال البلاد والعباد؛ ذلك لأن التمييز بين الناس يؤدي إلى فساد الأمور وضياع الحقوق، ويوجب غضب الله تعالى مما يؤدي إلى الهلاك.

أخرج البخاري عن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ الله ﷺ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ الله ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله**»، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ الله، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»(١).

ومن عدل الحاكم أن يولي الأمور أهلها دون محاباة أو مجاملة، ويكون الفيصل في اختيار القادة والوزراء ورؤساء العمل والمديرين الكفاءة، وبهذا يتنافس الناس فترتقي البلاد وتتقدم؛ لأن كل واحد يعمل في مجاله الذي يحسنه وينافس غيره ليكون الأفضل في عمله الذي يحسنه.

---

(١) ١١/ ٢٩٤ ح٣٢١٦ كتاب أحاديث الأنبياء - باب ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ [الكهف: ٩].

إن توسيد الأمر لغير أهله يؤدي إلى قتل المواهب ودفن الخبرات والعقول المستنيرة ويقضي على روح التنافس، ويؤدي إلى الخمول وعدم التجديد بل وفساد الأمر القائم بالفعل كما قالوا: (من عمل فيما لا يحسن أفسد أكثر مما يصلح).

إنه علامة على انتكاس الأوضاع، وانقلاب الموازين، والخلل العام في كل قطاع يرأسه من ليس أهلا له؛ ولهذا أخبر النبي ﷺ أنه من علامة الساعة؛ لأن الساعة يصاحبها خلل عام في نظام الكون وقوانينه.

أخرج البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ الله ﷺ يُحَدِّثُ فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «**أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنْ السَّاعَةِ؟**» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**فَإِذَا ضُيِّعَتْ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ**». قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «**إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ**»[1].

وبنظرة خاطفة إلى أحوال المسلمين وأحوال غير المسلمين نجد أن المحسوبيات والوساطات والمحاباة والمجاملة تنتشر بشكل كبير في بلاد الإسلام الذي دينهم العدل وإعطاء الحقوق لأصحابها، فصارت الأمور كما يعلم من واقع الحال جهل وتخلف وفساد في شتى القطاعات ومناحي الحياة. أما في الدول الغربية فلا يكاد توجد المحسوبيات ولا الوساطة؛ فهم لا يفرقون بين إنسان وإنسان، فالأولى بالمنصب والإدارة الأقدر والأجدر بعلمه وكفاءته أيًّا كان جنسه أو لونه، غنيًّا أو فقيرًا، فتسابق علماؤهم في العلوم والمعارف؛ فارتقت بذلك وتقدمت بلادهم في النواحي المادية والعسكرية؛ وبهذا العدل المنتشر بينهم استقطبوا مئات الآلاف من العقول المستنيرة من بلاد الإسلام الذين يعتبروا الآن ركيزة أساسية من ركائز تقدم تلك الدول.

---

(١) ١/ ١٠٣ ح ٥٧ كتاب العلم - باب مَنْ سُئِلَ عِلْمًا وَهُوَ مُشْتَغِلٌ فِي حَدِيثِهِ فَأَتَمَّ الحَدِيثَ ثُمَّ أَجَابَ السَّائِلَ.

ومن عدل الحاكم ما ذكره الماوردي في بيانه لصور عدل الإنسان حيث قال: عَدْلُ الإِنْسَانِ فِيمَنْ دُونَهُ كَالسُّلْطَانِ فِي رَعِيَّتِهِ، وَالرَّئِيسِ مَعَ صَحَابَتِهِ، فَعَدْلُهُ فِيهِمْ يَكُونُ بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: بِاتِّبَاعِ المَيْسُورِ، وَحَذْفِ المَعْسُورِ، وَتَرْكِ التَّسَلُّطِ بِالقُوَّةِ، وَابْتِغَاءِ الحَقِّ فِي المَيْسُورِ.

فَإِنَّ اتِّبَاعَ المَيْسُورِ أَدْوَمُ، وَحَذْفَ المَعْسُورِ أَسْلَمُ، وَتَرْكَ التَّسَلُّطِ أَعْطَفُ عَلَى المَحَبَّةِ، وَابْتِغَاءَ الحَقِّ أَبْعَثُ عَلَى النُّصْرَةِ.

وَهَذِهِ أُمُورٌ إِنْ لَمْ تَسْلَمْ لِلزَّعِيمِ المُدَبِّرِ كَانَ الفَسَادُ بِنَظَرِهِ أَكْثَرَ، وَالاِخْتِلَافُ بِتَدْبِيرِهِ أَظْهَرَ[1].

إن العدل ميزان الله في الأرض وضعه الحق تعالى للخلق، والإمام العادل أو من ناب عنه في جماعة من الجماعات هو القائم على هذا الميزان، يعطي الحقوق، ويرد المظالم دون تمييز أو محاباة، ويدفع أهل الباطل عن باطلهم ويؤدبهم، ويكرم أهل الحق والخير ويعينهم، يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، ويقيم الحدود والشرائع ويطبق الأحكام والقوانين؛ فيكون بذلك سببًا في هداية وصلاح كثير من الناس وبُعدهم عن معاصي الله، فيجري عليه مثل أجر صلاحهم دون أن ينقص من أجورهم شيئًا.

إن عدل الحاكم من صلاحه وصلاحه إصلاح للرعية قال أرسطو الفيلسوف الشهير: ليس أصلح للناس من أولي الأمر إذا صلحوا، ولا أفسد لهم ولأنفسهم إذا فسدوا[2].

قال العز بن عبد السلام: العادل من الأئمة والولاة والحكام أعظم أجرًا من جميع الأنام بإجماع أهل الإسلام، لأنهم يقومون بجلب كل صالح كامل، ودرء كل فاسد شامل، فإذا أمر الإمام بجلب المصالح العامة ودرء المفاسد العامة، كان له أجرٌ بحسب

---

(١) أدب الدنيا والدين ١٧١.

(٢) انظر السمير المهذب ٢/ ١٤٥، دار الكتب العلمية بيروت.

ما دعا إليه من المصالح العامة، وزجر عنه من المفاسد ولو كان ذلك بكلمة واحدة لأجر عليها بعدد متعلقاتها. وكذلك أجر أعوانه على جلب المصالح ودرء المفاسد(١).

ولذلك فإنهم يفوزون بمحبة الله لهم ولعمري إنه لأعظم ثواب وأفضل عطاء أن يكون العبد محبوبًا من مولاه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة:٤٢] ولذلك فإنهم في مكان رفيع في ظل عرشه يوم القيامة وهم من أهل الجنة.

أخرج مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ العَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ الله، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّى أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»(٢).

وأخرج أيضا عن عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ الله عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**»(٣).

وأخرج أيضا من حديث عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَأَهْلُ الجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِى قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**»(٤).

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/ ١٢١.

(٢) ٢/ ٩٣ ح ٢٤٢٧ كتاب الزكاة – باب فضل إخفاء الصدقة.

(٣) ٦/ ٧ ح ٤٨٢٥ كتاب الإمارة – باب فَضِيلَةِ الإِمَامِ العَادِلِ.

(٤) ٨/ ١٥٨ ح ٧٣٨٦ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها –باب الصِّفَاتِ الَّتِى يُعْرَفُ بِهَا فِى الدُّنْيَا أَهْلُ الجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ.

قال العز بن عبد السلام: وأما ولاة السوء وقضاة الجور فمن أعظم الناس وزرا وأحطهم درجة عند الله، لعموم ما يجري على أيديهم من جلب المفاسد العظام ودرء المصالح الجسام، وإن أحدهم ليقول الكلمة الواحدة فيأثم بها ألف إثم وأكثر على حسب عموم مفسدة تلك الكلمة، وعلى حسب ما يدفعه بتلك الكلمة من مصالح المسلمين، فيا لها من صفقة خاسرة وتجارة بائرة[1].

إن ولاة الأمر كالعود والرعية كالظل إن استقام العود كان الظل مستقيمًا وإن كان العود أعوجًا كان الظل أشد اعوجاجًا. فبصلاحهم تصلح البلاد والعبد فيفوزون بمثل أجر كل صلاح وإصلاح كانوا سببًا فيه. وإن فسدوا فسد العباد وخربت البلاد فيقع عليهم إثم كل فساد كانوا سببًا فيه.

☜ ثانيا: العدل في الشهادة والقضاء:

أولًا: العدل في الشهادة:

أمر الله تعالى بالشهادة والإشهاد في كثير من الأمور كالبيع والشراء والدين والنكاح والطلاق والرجعة وإقامة الحدود وغير ذلك.

وقد شرعها الله تعالى للمحافظة على حقوق العباد، وقطعًا للنزاع والخلاف الذي قد يحدث من جراء تعامل الناس بلا إشهاد، فهي تقطع الطريق على من تسول له نفسه إنكار الحقوق أو التعدي على الآخرين، وتضمن الحقوق لأصحابها.

إن الشهادة إذا جيء بها على الوجه الذي أمر الله تعالى به تؤدي إلى إقامة العدل في الحكم والقضاء؛ ولذا أمر الله تعالى أن نشهد ولا نشهد إلا العدول قال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ﴾ [الطلاق:٢].

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١٢٠: ١٢١.

ووصى الله تعالى عباده فقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام:١٥٢].

فالعدل مطلوب ومفروض في كل قول من حكم وقضاء وشهادة ومدح وذم، وغير ذلك مما يكون بالقول.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء:١٣٥].

قال الإمام ابن كثير: يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط، أي بالعدل، فلا يعدلوا عنه يمينا ولا شمالا ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يصرفهم عنه صارف، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه.

وقوله: ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ كَمَا قَالَ: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ﴾ أي: ليكن أداؤها ابتغاء وجه الله، فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقًّا، خالية من التحريف والتبديل والكتمان؛ ولهذا قال: ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: اشهد الحق ولو عاد ضررها عليك، وإذا سُئِلت عن الأمر فقل الحق فيه، وإن كان مَضرة عليك، فإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجًا ومخرجًا من كل أمر يضيق عليه.

وقوله: ﴿أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ﴾ أي: وإن كانت الشهادة على والديك وقرابتك، فلا تُراعهم فيها، بل اشهد بالحق وإن عاد ضررها عليهم، فإن الحق حاكم على كل أحد، وهو مقدم على كل أحد. وقوله: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ﴾ أي: لا ترعاه لغناه، ولا تشفق عليه لفقره، الله يتولاهما، بل هو أولى بهما منك، وأعلم بما فيه صلاحهما. وقوله: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ﴾ أي: فلا يحملنكم الهوى والعصبية وبغْضَة الناس إليكم، على ترك العدل في أموركم وشؤونكم، بل الزموا العدل على أيّ حال كان[1].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٣٣.

وإذا يشهد بالحق والعدل على نفسه وأقربائه ولا يحابي قريبا لقرابته ولا غنيًّا لغناه ولا فقيرًا لفقره كذلك لا يظلم عدوًّا لعداوته قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨].

فلا يجوز كتمان الشهادة ولا تحريفها وتعمد الكذب فيها؛ فإن كتمان الشهادة ذنب عظيم قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٠] .

وقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٣].

وأقبح من الكتمان وأعظم إثمًا الكذب والتحريف وشهادة الزور؛ بأن يُري عينَه ما لم تر ويُسمع أذنَه ما لم تسمع، قال تعالى متوعدًا على ذلك ومحذرًا منه: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٣٥] واللي: هو التحريف وتعمد الكذب، والإعراض هو كتمان الشهادة[(١)].

إن شهادة الزور كبيرة من الكبائر التي نهي عنها النبي ﷺ أخرج البخاري عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ ثَلاَثًا -أَوْ قَوْلُ الزُّورِ-» فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ** [(٢)].

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٤٣٣ بتصرف .

(٢) ٢١/ ٢٣٧ ح ٦٤٠٨ كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم - بَاب إِثْمِ مَنْ أَشْرَكَ بِالله وَعُقُوبَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

☜ ثانيًا: العدل في القضاء:

للقضاء في الإسلام منزلة عظيمة؛ فقد شرعه الله تعالى لإقامة العدل بين الناس بإحقاق الحق وإبطال الباطل، ونصرة المظلوم وفض النزاعات، فهو ضرورة من الضرورات، ولا يمكن الاستغناء عنه بحال في مجتمع من المجتمعات، ولا في زمن من الأزمان.

ولقد كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قضاة بين الناس، وهم أولى الناس بذلك؛ لأنهم المبلغون عن الله شرعه وأحكامه لعباده، وقد أمرهم الله تعالى بالعدل في حكمهم، فقال لنبيه داوود عليه السلام: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦].

وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء:١٠٥].

وأمر جميع المؤمنين بالعدل فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨] .

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢] .

فهذا يتضمن العدل في كل قول من حكم وقضاء وشهادة وغير ذلك، فالقاضي لابد أن يحكم بالعدل، والعدل يكون بما ثبت لديه من أدلة وبراهين وشهادات وليس له أن يحكم بهواه أو ما يراه، وقد ذكر عمر رضي الله عنه آداب القاضي في رسالته لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه عندما ولاه قضاء الكوفة.

أخرج الدارقطني عن سعيد بن أبي بردة وأخرج الكتاب فقال: هذا كتاب عمر ثم قرئ على سفيان من هاهنا إلى أبي موسى الأشعري، أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة،

وسنة متبعة؛ فأفهم إذا أدلى إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له.

آس بين الناس في مجلسك ووجهك وعدلك؛ حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا يخاف ضعيف جورك. البينة على من ادعى واليمين على من أنكر.

الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا.

لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن تراجع الحق؛ فإن الحق قديم، وإن الحق لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل[1].

إن القضاء في الإسلام مبني على العدل مع الولي والعدو ومع القريب والبعيد والمؤمن والكافر قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة:٨] فالبغضاء لا تحمل على الحيف والجور، وهذا ما يقرره الإسلام.

أخرج الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله أنه قال: أفاء الله عز وجل خيبر على رسول الله ﷺ فأقرهم رسول الله ﷺ كما كانوا وجعلها بينه وبينهم فبعث عبد الله بن رواحة فخرصها عليهم ثم قال لهم: يا معشر اليهود أنتم أبغض الخلق إلي؛ قتلتم أنبياء الله عز وجل وكذبتم على الله، وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيف عليكم، قد خرصت عشرين ألف وسق من تمر، فإن شئتم فلكم وإن أبيتم فلي، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض قد أخذنا فاخرجوا عنا[2].

---

(١) سنن الدار قطني ٤/ ٢٠٧ ح١٦ وصححه الألباني أنظر إرواء الغليل٨/ ٣٦٠.

(٢) المسند ٢/ ٣٦٧ ح ١٤٩٦٦ قال شعيب الأرنئوط: إسناده قوي على شرط مسلم قلت: وأبو الزبير مدلس، وقد صرح بسماعه من جابر في إحدى روايات الحديث عند أحمد وهي رواية مختصرة ٣/ ٢٩٦.

إن الإسلام مع الحق والعدل أيًّا كان صاحبه مؤمن أو غير مؤمن، وقد نزل القرآن بذلك في شأن الدرع المسروقة.

ذكر الواحدي في أسباب النزول قال: وذلك أن رجلًا من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر ابن الحارث سرق درعًا من جار له يقال له قتادة بن النعمان، وكانت الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهي إلى الدار وفيها أثر الدقيق، ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين، فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد عنده وحلف لهم: والله ما أخذها وما له به من علم، فقال أصحاب الدرع: بلى والله قد أدلج علينا فأخذها وطلبنا أثره حتى دخل داره، فرأينا أثر الدقيق فلما أن حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي فأخذوه، فقال: دفعها إلي طعمة بن أبيرق، وشهد له أناس من اليهود على ذلك، فقالت بنو ظفر وهم قوم طعمة: انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فكلموه في ذلك، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي، فهم رسول الله صلى الله عليه وآله أن يفعل وكان هواه معهم وأن يعاقب اليهودي حتى أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلٗا ١٠٩﴾ [النساء:١٠٥-١٠٩][1].

(١) أسباب النزول للواحدي ١٢١ وقد أخرج هذه القصة الترمذي في سننه ٥/ ٢٤٤ ح ٣٠٣٦ وقال الشيخ الألباني: إسناده حسن.

وقصة شريح القاضي معروفة مشهورة لما اختصم إليه أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويهودي في درع كانت لأمير المؤمنين سقطت منه، ولم يكن لأمير المؤمنين شهود سوى الحسن ابنه وغلامه قنبر، فلم يقبل القاضي شهادة الحسن لأنها لأبيه، وحكم بالدرع لليهودي: فَقَالَ: اليهودي: أمير المؤمنين قدمني إِلَى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه أشهد أن هَذَا الدين على الحق، وأشهد أن لا إله إِلَّا الله، وأن مُحَمَّدًا عَبْده ورسوله وأن الدرع درعك يا أمير المؤمنين، سقطت منك ليلًا، وتوجه مع علي يقاتل معه بالنهروان فقتل[١].

إن العدل في القضاء أحد سمات الإسلام البارزة وهو سبب لصلاح العباد واستتباب الأمن وتقدم البلاد، والعدل سبب في هداية الناس إلى الإسلام. والقاضي العادل له أجر كبير عند الله على قدر ما يجلب من مصالح ويدفع من مضار وبقدر إحقاقه للحق وإبطاله للباطل، أما الجائر من القضاة فإنه يبوء بإثم كل خير دفعه وكل شر جلبه.

إن القاضي الذي يقضي بالحق من أهل الجنة والذي يتبع الهوى فهو من الهالكين، أخرج الترمذي عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة: رجل قضى بغير الحق فعلم ذلك فذاك في النار، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار، وقاض قضى بالحق فذلك في الجنة**»[٢].

---

(١) انظر أحبار القضاة ٢/ ٢٠٠ باختصار.

(٢) سنن الترمذي ٢/ ٦١٢ ح ١٣٢٢ كتاب الأحكام – باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي، وقال الشيخ الألباني: إسناده صحيح.

☜ ثالثًا: العدل داخل الأسرة:

لقد حرص الإسلام على أن تكون العلاقات داخل المجتمع المسلم قوية مترابطة ولذا أمر الله سبحانه وتعالى بالعدل في جميع الأمور ومع جميع الناس، والمجتمع المسلم يستمد قوته من قوة الأفراد والأسر، ولقد حرص الإسلام على قوة الأسرة وترابطها وعلى أن يسود أفرادها الحب والوئام والتعاطف والتراحم خالية قلوب أفرادها من أسباب الخلاف والتشاحن والبغضاء والعداء، وليتحقق هذا شرع الله تعالى العدل وأمر به داخل الأسرة الواحدة. ويمكن أن نلخص صور العدل بين أفراد الأسرة الواحدة في صورتين:

الصورة الأولى: عدل الوالدين مع أولادهما:

فالعدل واجب على الآباء والأمهات في شتى صور التعامل مع الأبناء فيعدلوا بينهم في المأكل والمشرب والملبس، والتعليم والعطاء والنصح والتوجيه، وفي العطف والرفق حتى في القبلة لا فرق في كل ذلك بين ذكر وأنثى، ولا صغير وكبير ولا قوي وضعيف، ولا فرق بين ولد من زوج وولد من زوج أخر. وهذا يؤدي إلى تواد الإخوة وترابطهم ويعينهم على البر بوالديهم.

أما التمييز وتفضيل ولد على أخر سينتج عنه ولابد فساد القلوب وغرس العداوة بين الأخوة وقطيعة الأرحام وعقوق الوالدين، وكل ذلك محرم في دين الله تعالى.

ولقد حرص النبي ﷺ على سلامة العلاقات داخل الأسرة فأمر بالعدل بين الأولاد في شتى التعاملات، ترجم الإمام البخاري باب - بَاب الهِبَةِ لِلْوَلَدِ وَإِذَا أَعْطَى بَعْضَ وَلَدِهِ شَيْئًا لَمْ يَجُزْ حَتَّى يَعْدِلَ بَيْنَهُمْ وَيُعْطِيَ الآخَرِينَ مِثْلَهُ وَلَا يُشْهَدُ عَلَيْهِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي العَطِيَّةِ، وَهَلْ لِلْوَالِدِ أَنْ يَرْجِعَ فِي عَطِيَّتِهِ؟**»[1].

---

(١) ٩/ ٣٧.

وأخرج عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ الله ﷺ، فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ الله.قَالَ: «**أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟**» قَالَ: لَا - قَالَ: «**فَاتَّقُوا الله وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ**»(١).

وفي رواية لمسلم فَقَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: «**يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا؟**». قَالَ نَعَمْ. فَقَالَ: «**أَكُلَّهُمْ وَهبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا؟**». قَالَ لاَ. قَالَ: «**فَلاَ تُشْهِدْنِى إِذًا فَإِنِّى لاَ أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ**»(٢).

ولمسلم أيضا قال ﷺ قَالَ: «**أَلَيْسَ تُرِيدُ مِنْهُمُ البِرَّ مِثْلَ مَا تُرِيدُ مِنْ ذَا؟**». قَالَ بَلَى. قَالَ: «**فَإِنِّى لاَ أَشْهَدُ**».

وفي رواية أخرى قال ﷺ «**أَلَهُ إِخْوَةٌ**». قَالَ نَعَمْ. قَالَ: «**أَفَكُلَّهُمْ أَعْطَيْتَ مِثْلَ مَا أَعْطَيْتَهُ**». قَالَ لاَ. قَالَ: «**فَلَيْسَ يَصْلُحُ هَذَا. وَإِنِّى لاَ أَشْهَدُ إِلاَّ عَلَى حَقٍّ**»(٣).

لقد بيّن النبي ﷺ أن العطية لأحد الأبناء دون الآخرين ظلم، ورفض ﷺ أن يشهد، وبين أن هذا التصرف لا يصلح؛ لأنه يستتبع -ولا بد- العقوق وتقاطع أفراد الأسرة، وهذا لا يرضاه الله تعالى.

وإذا كان الإسلام حرص على العلاقات داخل الأسرة قوية حال حياة الوالدين فقد حرص أيضا على قوتها بعد وفاتهما أو أحدهما؛ ولهذا أعطى الله سبحانه كل صاحب حق حقه من مال المورث، ونهى أن يوصى لأحد الورثة.

---

(١) ٩/ ٤٠ ح ٢٣٩٨ كِتَاب الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا باب الإشهاد في الهبة.

(٢) ٥/ ٦٦ ح ٤٢٦٩ كتاب الهبات - باب كَرَاهَةِ تَفْضِيلِ بَعْضِ الأَوْلاَدِ فِى الهِبَةِ.

(٣) ٥/ ٦٧: ٦٨ ح ٤٢٧٢ و٤٢٧٣ كتاب الهبات - باب كَرَاهَةِ تَفْضِيلِ بَعْضِ الأَوْلاَدِ فِى الهِبَةِ.

أخرج ابن ماجة عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إني لتحت ناقة رسول الله ﷺ يسيل علي لعابها. فسمعته يقول: «**إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، ألا لا وصية لوارث**»(١).

الصورة الثانية: العدل مع الأزواج وبين الزوجات:

لسلامة البيوت وتماسكها واستقامتها ودوام العشرة بالمعروف والمودة والرحمة فيها لا بد من العدل من كل من الزوجين مع الآخر، والعدل بين الزوجات إن كان للرجل أكثر من زوجة.

أولا: العدل من كل من الزوجين مع الآخر:

العدل من كل من الزوجين يكون بأداء الحقوق التي شرعها الله تعالى على كل منهما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٨].

قال الإمام ابن كثير:أي: ولهن على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن، فلْيؤد كل واحد منهما إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف(٢).

وقد بين النبي ﷺ حقوق كلا من الزوجين؛ ففي خطبته ﷺ في حجة الوداع أخرج مسلم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ خطب الناس يوم عرفة فقال: «... **فَاتَّقُوا الله فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ الله وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ الله، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالمَعْرُوفِ**»(٣).

---

(١) ٢/ ٦٠٩ ح ٢٧١٤ كتاب الوصايا – باب لاوصية لوارث وصححه الشيخ الألباني

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٦٠٩.

(٣) صحيح مسلم ٤/ ٣٩ ح ٣٠٠٩ كتاب الحج – باب حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وأخرج أبو داوود عن معاوية بن حيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت يا رسول الله: ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «**أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت -أو اكتسبت- ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت**»[1].

ومن العدل الذي أمر الله به كلا من الزوجين العشرة بالمعروف قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩]، والعشرة بالمعروف هي المعاملة الحسنة والكلمة الطيبة ولين الجانب، والعطف والرحمة والإحسان، وغير ذلك من الأمور التي ينبغي أن تكون في العشرة بين الزوجين.

ثانيا: العدل بين الزوجات:

فإن كان للرجل أكثر من زوجة يجب عليه أن يعدل بينهم في شتى صور المعاملة؛ من مأكل ومشرب وملبس ومسكن وعشرة؛ حتى في الكلمة الطيبة لا يفرق بين زوجة وأخرى، وهذا العدل الذي شرعه الله وأمر به يؤدي إلى الرضا، واستقامة الزوجة، واستقرار البيوت، وقلة النزاع، والألفة بين الأخوة من أبناء الزوجتين.

أما الظلم والميل إلى إحداهما دون الأخرى يستتبعه -ولا بد- ميل البيوت وانكسار المرأة المظلومة وحزنها، ويؤدي الظلم إلى النزاع والبغضاء وكثرة المشاكل والعداء بين الأخوة أبناء الزوجتين، ولقد أمر الله تعالى بالعدل المستطاع فقال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ﴾ [النساء:١٢٩].

قال الإمام ابن كثير: أي: لن تستطيعوا أيها الناس أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه؛ فإنه وإن حصل القسْم الصوري: ليلة وليلة، فلا بد من التفاوت في

---

(١) ٢/ ٢١٠ ح ٢١٤٤ كتاب النكاح - باب حق المرأة على زوجها وقال الشيخ الألباني: حديث حسن صحيح.

المحبة والشهوة والجماع، كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

فإذا ملتم إلى واحدة منهن فلا تبالغوا في الميل بالكلية؛ أي: فتبقى الأخرى مُعَلَّقة كأنه لا زوج لها ولا هي مطلقة[١].

فالعدل المطلوب في القسمة والمعاملة والنفقة وكل ما هو في مقدور الإنسان.

أما الميل القلبي فهذا ليس في مقدور الإنسان ويعفو الله عنه برحمته.

أخرج ابن حبان في صحيحه عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: «**اللهم هذا فعلي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك**»[٢] أي في الميل القلبي؛ فإن القلوب بيد الله تعالى.

إن الميل وعدم العدل بين الزجات يؤدي إلى ميل البيوت وسقوطها وانحرافها عن الصراط المستقيم الذي رسمه الله تعالى ويجعل الزوجة التي وقع عليه الظلم في حالة من الانكسار، وقد جعل الله جزاء هذا الفعل القبيح من جنسه.

أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «**إذا كان عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط**»[٣].

فكما كان أعوجًا في الدنيا مائلًا إلى إحدى زوجاته يأتي يوم القيامة بتلك الصورة المهينة مائلًا ساقطًا على أحد جنبيه.

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٤١٣ باختصار وتصرف.

(٢) ١٠/ ٥ ح ٤٢٠٥ كتاب النكاح - باب القسم قال شعيب الأرنئوط: رجاله ثقات على شرط مسلم.

(٣) ٢/ ٤٤٧ ح ١١٤١ كتاب النكاح - باب ما جاء في التسوية بين الضرائر قال الشيخ الألباني: صحيح.

☜ رابعا: العدل في الكيل والميزان:

التعامل بين الناس في البيع والشراء والأخذ والعطاء ضرورة من ضرورات الحياة، ولا يتصور حياة بدون تبادل المنافع بين الناس، ومن صور تبادل المنافع الكيل والميزان أخذًا وعطاءً، وقد أمر الله تعالى بالعدل فيهما في العديد من آيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء:٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٩] أي: بالعدل، والعدل الذي أمر الله تعالى به هو ما كان في مقدور الإنسان؛ إذ يتعذر أن يكون العدل في الكيل والميزان بالحبة والذرة قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ﴾ [الأنعام:١٥٢].

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: أمر تعالى في هذه الآية الكريمة بإيفاء الكيل والميزان بالعدل، وذكر أن من أخل بإيفائه من غير قصد منه لذلك، لا حرج عليه لعدم قصده، ولم يذكر هنا عقابًا لمن تعمد ذلك(١).

وقال الطاهر بن عاشور: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ﴾ [الأنعام:١٥٢] متعلقة بالتي وليتها فتكون احتراسًا، أي: لا نكلفكم تمام القسط في الكيل والميزان بالحبة والذرة ولكن نكلفكم ما تظنون أنه عدل ووفاء. والمقصود من هذا الاحتراس أن لا يترك الناس التعامل بينهم خشية الغلط أو الغفلة، فيفضي ذلك إلى تعطيل منافع جمة(٢).

إن العدل في الكيل والميزان خير للفرد والأمة، وقد أمر الله تعالى به صيانة للحقوق وحفظًا لأموال الناس؛ خاصة الضعفاء ومن فيهم غفلة؛ أولئك الذين لا

---

(١) أضواء البيان ١/ ٥٤٧.

(٢) التحرير والتنوير ٨/ ١٦٥.

يحسنون البيع والشراء، ولا يعرفون كيف يستوفون حقوقهم كيلًا وميزانًا، فلا يستحل أحد أموالهم ويأخذها بغير وجه حق، وحفظ المال هو أحد الضرورات الخمسة التي جاء الإسلام بحفظها.

إن للعدل في الكيل والميزان أثر كبير في صحة وإستقامة العلاقات الإنسانية؛ فهو يشيع الثقة بين الناس فيتعامل الناس مع بعضهم بالصدق والأمانة؛ وهذا يؤدي بالضرورة إلى تماسك المجتمع وتآلف أفراده.

أما التطفيف في الكيل، ونقص الميزان، فهذا من الظلم وأكل أموال الناس بالباطل بطريق الغش والتدليس والخداع، وبخس الناس أشياءهم، وهذا يفضي حتمًا إلى فقدان الثقة بين الناس، وشيوع البغضاء والعداء، وقطع الأواصر والصلات بين الناس؛ مما ينتج عنه ولابد انتشار الفساد وتعطيل مصالح العباد.

ولقد كان أهل مدين قوم شعيب عليه السلام منتشر بينهم هذا الظلم في معاملة الناس، وكأن هذا الظلم ناتج عن كفرهم بالله عز وجل، فجاءهم نبيهم فدعاهم أول ما دعاهم إلى عبادة الله تعالى وحده؛ فالإيمان بالله يدعو إلى صلاح الأعمال، ثم دعاهم إلى العدل في الكيل والميزان وأمرهم ألا يبخسوا الناس أشياءهم وألا يفسدوا في الأرض بهذه الأعمال وبين لهم أن ما عند الله من ثواب وأجر خير لهم من أكل أموال الناس بالباطل.

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف:٨٥] .

وقال أيضا: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾

وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾ [هود:٨٤-٨٦].

إن الخلل في الكيل والميزان يفضي حتمًا إلى خلل في العلاقات الإنسانية وخلل في المصالح وتبادل المنافع، وليس هذا فحسب وإنما يؤدي أيضا إلى نزول البلاء والنقم من الله على الناس.

أخرج ابن ماجة عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ قَالَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله -ﷺ- فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِالله أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِى لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا المِكْيَالَ وَالمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ المَؤُنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا القَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلاَ البَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ الله عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ الله وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ الله إِلاَّ جَعَلَ الله بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ**»(١).

إن الفقر وشدة الحاجة وجور السلطان نتيجة الظلم في الكيل والميزان، وهذا من عقوبات الدنيا، أما في الآخرة فقد توعد الله المطففين عذابًا شديدًا.

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين:١-٦].

---

(١) ٢/ ١٣٣٢ ح ٤٠١٩ كتاب الفتن - باب العقوبات قال الشيخ الألباني: إسناده حسن.

☜ ثالثا: العدل مع النفس:

قال الماوردي: فَإِذَا كَانَ العَدْلُ مِنْ إِحْدَى قَوَاعِدِ الدُّنْيَا الَّتِي لَا انْتِظَامَ لَهَا إِلَّا بِهِ، وَلَا صَلَاحَ فِيهَا إِلَّا مَعَهُ، وَجَبَ أَنْ نَبْدَأَ بِعَدْلِ الإِنْسَانِ فِي نَفْسِهِ[1]. وهي أولى بذلك من غيرها.

والعدل مع النفس هو أن يأتي من الأفعال والأقوال بما يعود عليها بالنفع والصلاح في الحال والمآل، وهذا مطلب الفطر السليمة والشرائع الصحيحة.

وهذا عام في كل عمل وقول فيدخل فيه العدل مع الله تعالى والعدل مع الخلق.

فمن ظلم في تعامله مع الله تعالى فأشرك به تعالى أو خالف شرعه وترك فرائضه وتعدى حدوده فهو ظالم لنفسه، وهذا الظلم لا يعود ضره وشؤمه إلا على العبد.

أخرج مسلم عَنْ أَبِى ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «**يَا عِبَادِى إِنِّى حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِى وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِى كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِى أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِى كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِى أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِى كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِى أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِى إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِى أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِى إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّى فَتَضُرُّونِى وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِى فَتَنْفَعُونِى، يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يا عبادي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِى إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يا عبادي إِنَّمَا هي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ**

(١) أدب الدنيا والدين ١٧٠.

أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ»[1]... وكذلك من ظلم في تعامله مع الناس فهو ظالم لنفسه، وهذا ما يقرره القرآن الكريم في العديد من آياته.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] وقد بين ﷺ أن الظلم في هذا الموضع الشرك بالله تعالى أخرج مسلم عَنْ عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ وَقَالُوا: أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]**»[2].

ونهى تعالى عن جميع المعاصي وسماها ظلم فقال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة:٣٦] قال الخازن: قيل: الكناية في فيهن ترجع إلى جميع الأشهر أي: لا تظلموا أنفسكم في جميع أشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات؛ لأن المقصود منع الإنسان من الإقدام على المعاصي والفساد مطلقًا في جميع الأوقات إلى الممات.

وقيل: إن الكناية ترجع إلى الأشهر الحرم وهو قول أكثر المفسرين[3].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر:٣٢] وقال

---

(١) كتاب البر والصلة والأدب/ باب تحريم الظلم ٨/ ١٦ ح ٦٧٣٧.

(٢) كتاب الإيمان/ باب صدق الإيمان ١/ ٨٠ ح٣٤٢.

(٣) الخازن ٣/ ٩٠.

تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠] والآيات في ذلك كثيرة.

هذا من جانب ومن جانب آخر يجب أن يعدل المرء في تعامله مع نفسه، ولهذا الجانب صورا منها:

أولا: أن يقوم بالمحافظة عليها وصيانتها من كل أذى فلا يقع منه اعتداء عليها بالقتل وما دونه من الضر فهي ليست ملكًا له، وإنما هي لله الذي خلقها قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة:١٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء:٢٩].

وحرم تعالى كل ما من شأنه الضر فحرم الخمر وسائر الخبائث، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة:٩٠]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

ثانيا: أن لا يكلفها من الأعمال مالا تطيق حتى لو كان هذا العمل تقربًا إلى الله بنوافل الأعمال. أخرج أبو داوود عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**اكلفوا من العمل ما تطيقون؛ فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل**». وكان إذا عمل عملًا أثبته(١).

فللجسم حق في الراحة؛ كما أن لله والأهل حق أخرج البخاري عن عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا عَبْدَ الله، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ**

(١) كتاب التطوع/ باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة ١/ ٥٩٠ ح ١٣٧٠ وصححه الألباني.

وَتَقُومُ اللَّيْلَ» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**فَلَا تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ؛ فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**»(١).

وأخرج أيضا أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ: كُلْ. قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ. قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ قَالَ: نَمْ فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمْ الآنَ فَصَلَّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا؛ فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**صَدَقَ سَلْمَانُ**»(٢).

ثالثا: ألا يحرمها من الطيبات التي أحل الله عز وجل دون إسراف أو تقتير قال تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾ [الأعراف:٣١-٣٢] وقال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [القصص:٧٧]

قال الإمام ابن كثير: أي: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة، في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات، التي يحصل لك بها الثواب في

---

(١) كتاب النكاح/ باب لزوجك عليك حقا ١٦/ ٢٠٥ ح٤٨٠٠.

(٢) كتاب الصوم/ بَاب مَنْ أَقْسَمَ عَلَى أَخِيهِ لِيُفْطِرَ فِي التَّطَوُّعِ وَلَمْ يَرَ عَلَيْهِ قَضَاءً إِذَا كَانَ أَوْفَقَ لَهُ ٧/ ٧٦ ح ١٨٣٢.

الدار الآخرة، ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح(١).

تلك بعض صور العدل مع النفس.

وبالجملة فقد قال الماوردي: فَأَمَّا عَدْلُهُ فِي نَفْسِهِ فَيَكُونُ بِحَمْلِهَا عَلَى المَصَالِحِ، وَكَفِّهَا عَنْ القَبَائِحِ، ثُمَّ بِالوُقُوفِ فِي أَحْوَالِهَا عَلَى أَعْدَلِ الأَمْرَيْنِ مِنْ تَجَاوُزٍ أَوْ تَقْصِيرٍ، فَإِنَّ التَّجَاوُزَ فِيهَا جَوْرٌ، وَالتَّقْصِيرَ فِيهَا ظُلْمٌ.

وَمَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ فَهُوَ لِغَيْرِهِ أَظْلَمُ، وَمَنْ جَارَ عَلَيْهَا فَهُوَ عَلَى غَيْرِهِ أَجْوَرُ(٢).

وقال الإمام ابن العربي: وَأَمَّا العَدْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ فَمَنْعُهَا عَمَّا فِيهِ هَلَاكُهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠] وَعُزُوبُ الأَطْمَاعِ عَنْ الِاتِّبَاعِ، وَلُزُومُ القَنَاعَةِ فِي كُلِّ حَالٍ، وَمَعْنًى(٣).

لقد راعى الإسلام حق النفس والبدن ولم يظلمها حقها ولم يمنعها حظها إنه العدل الذي به سلامة النفس وصلاحها.

الأمر الثاني: الإحسان:

قال تعالى: ﴿ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠] أمر الله تعالى بالإحسان بعد أن أمر بالعدل، والحسن: هو كل مبهج مرغوب فيه عقلًا وحسًّا وهو ضد القبح.

والإحسان مصدر من الفعل أحسن يحسن إحسانًا ويأتي الإحسان على وجهين:-

الأول: إحسان في فعله وذلك إذا علم علمًا حسنًا أو عمل عملًا حسنًا. وهو متعد بنفسه.

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٥٣.

(٢) أدب الدنيا والدين ١٧١.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٥/ ١٩٨.

يقال: أحسنت الشيء - عرفته وأتقنته، وأحسن الشيء - أجاد صنعه قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر:٦٤].

الثاني: الإنعام على الغير وهو متعد بحرف جر قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣] وقال تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [يوسف:١٠٠] وتقول أحسنت إلى فلان(١).

وذكر المفسرون في معنى الإحسان هنا وجوها منها:-

الأول : أداء الفرائض. قلت: أداء الفرائض من العدل المأمور به، وعلى هذا يكون المقصود من الإحسان أداء الفرائض على الوجه اللائق من كمال من الخشوع ومراقبة الله تعالى والإخلاص.

الثاني : الإحسان أن تكون السريرة أفضل من العلانية.

الثالث : الإحسان هو التفضل.

الرابع : الإحسان فعل كل مندوب إليه.

الخامس: الإحسان هو الإخلاص لله تعالى.

السادس: الإحسان هو العفو.

السابع : الصبر على أمره تعالى ونهيه وطاعة الله في سره وجهره.

الثامن : الإحسان هو قول النبي ﷺ عندما سأله جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان وفيه: قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ**

(١) انظر المصباح المنير ١/ ١٦٣ (المكتبة العلمية - بيروت) والمعجم الوجيز ١٥١ (مجمع اللغة العربية ١٩٨٩، المفردات ١١٩ دار المعرفة - بيروت، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/ ٤٦٤ (مجمع اللغة العربية ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦ م)، عمدة الحفاظ ١/ ٤١٢ (دار الكتب العلمية بيروت)، تفسير القرطبي ١٠/ ١٦٦.

تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[١][٢].

وهكذا عبر كل واحد من المفسرين عن المراد ببعض أنواعه، والمعنى يشمل جميع ما قالوا.

فالله عز وجل أمر بالعدل الذي هو الحق الواجب، وعطف عليه الإحسان، وهو ما أمر الله وحث عليه وندب إليه؛ وذلك لحاجة الناس إلى الإحسان في شتى أنواع المعاملات والتعاملات؛ ليستقيم بالعدل والإحسان دينهم ودنياهم، فلا يقبل الله تعالى العبادة بمجرد الأداء، ولكن لا بد من إحسان العبادة. وأما في جانب التعامل مع الخلق فكما قيل: علم سبحانه وتعالى أنه ليس كل النفوس تصلح على العدل، بل تطلب الإحسان بجانب العدل وهو فوق العدل فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠] فلو وسع العدل الخلق ما قرن به الإحسان[٣].

وقال الإمام أبو حامد الغزالي: وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعًا، والعدل سبب النجاة فقط، وهو يجري من التجارة مجرى رأس المال.

والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة، وهو يجري من التجارة مجرى الربح، ولا

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان/ باب مَعْرِفَةِ الإِيمَانِ وَالإِسْلاَمِ وَالقَدَرِ وَعَلاَمَةِ السَّاعَةِ.١/ ٢٨ ح ١٠٢.

(٢) انظر جميع هذه الوجوه في جامع البيان ٧/ ٢٧٩، البحر المديد ٤/ ٧٢، تفسير القرطبي ١٠/ ١٦٦، النكت والعيون ٣/ ٢٠٩، تفسير ابن كثير ٤/ ٤٩٥، تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٢٠٨ روح المعاني ١٤/ ٢١٧، زاد المسير ٤/ ٢٨٣، أضواء البيان ٢/ ٤٣٧ من جميعها بتصرف.

(٣) انظر سراج الملوك ١/ ٢١٣، المؤلف/ أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي/ تحقيق – محمد فتحي أبو بكر/ الدار اللبنابية المصرية، المستطرف في كل فن مستظرف ٢٢٧، المؤلف شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي– دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية، ١٩٨٦ – تحقيق: د.مفيد محمد قميحة.

يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا برأس ماله فكذا في معاملات الآخرة، فلا ينبغي للمتدين أن يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع أبواب الإحسان، وقد قال الله: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، ونعني بالإحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه، ولكنه تفضل منه فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم(١).

وقال الشيخ سيد قطب: «الإحسان» يلطف من حدة العدل الصارم الجازم، ويدع الباب مفتوحًا لمن يريد أن يتسامح في بعض حقه إيثارًا لود القلوب، وشفاءً لغل الصدور. ولمن يريد أن ينهض بما فوق العدل الواجب عليه ليداوي جرحًا أو يكسب فضلًا(٢).

فالإحسان الذي أمر الله تعالى به هو أحد القواعد العامة التي جاء بها الإسلام وهو ينقسم إلى نوعين.

الأول: إحسان الواجب؛ وهو أن يقوم المرء بما عليه من حقوق وواجبات على الوجه اللائق.

الثاني: إحسان مندوب إليه؛ وهو القيام بما زاد على الحق الواجب.

فالإحسان عام في كل ما يحسن فيه وبه وإليه فهو يشمل كل عمل وكل تعامل.

---

(١) احياء علوم الدين ٢/ ٧٩، دار المعرفة بيروت.

(٢) في ظلال القرآن ٤/ ٢١٩٠، دار الشروق.

☜ صور الإحسان:

ومن صوره ما يلي:-

أولًا: الإحسان في عبادة الله تعالى.

ثانيًا: الإحسان في التعامل مع الخلق.

ثالثًا: الإحسان في الأعمال الدنيوية.

رابعًا: الإحسان إلى النفس.

أولا: الإحسان في عبادة الله تعالى:

والواجب منه أداء حقوق الله تعالى مع مراعاة شروط صحتها وشروط قبولها.

والمندوب منه الإكثار من النوافل والأعمال التي تقرب إلى الله تعالى.

وأشار الإمام القرطبي إلى هذا النوع فقال: الإحسان راجع إلى إتقان العبادة ومراعاتها بأدائها المصححة والمكملة، ومراقبة الحق فيها واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار وهو المراد بقوله ﷺ: «**أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١) وأرباب القلوب في هذه المراقبة على حالين.

أحدهما: غالب عليه مشاهدة الحق فكأنه يراه...

ثانيهما: لا ينتهي إلى هذا ولكن يغلب عليه أن الحق سبحانه مطلع عليه مشاهد له(٢).

وقال الإمام الفخر: والإحسان عبارة عن الزيادة في تلك الطاعات بحسب

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان/ باب مَعْرِفَةِ الإِيمَانِ وَالإِسْلاَمِ وَالقَدَرِ وَعَلاَمَةِ السَّاعَةِ.١/ ٢٨ ح ١٠٢.

(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ١٦٦ باختصار وتصرف يسير.

الكمية وبحسب الكيفية، وبحسب الدواعي والصوارف، وبحسب الاستغراق في شهود مقامات العبودية والربوبية، فهذا هو الإحسان[1].

ثانيا: الإحسان في التعامل مع الخلق:

والواجب منه القيام بحقوقهم الواجبة على أكمل وجه دون تأخير أو ظلم.

والمندوب منه القيام بما زاد على القدر الواجب، فيبذل جميع المنافع لهم سواء كانت هذه المنافع علمية أو بدنية أو مالية، ويدخل السرور عليهم، ويتلطف معهم في القول، ويدفع عنهم ما يكرهون إن كان في مقدوره، وينصح لهم، ويلتزم الصبر في التعامل معهم.

والإحسان يعم جميع الخلق، الإنسان والحيوان، وكل شيء حولنا حتى النبات والجماد. أخرج مسلم عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ الله -ﷺ- قَالَ: «**إِنَّ الله كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ولْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**»[2].

فالإحسان إلى الإنسان: يعم كل قريب وبعيد، غني أو فقير، صغير أو كبير، حر أو عبد. قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء:٣٦] ولا يختص الإحسان إلى الإنسان بالمسلمين فقط، ولكن يعم غير المسلمين، ويكون ذلك بدعوتهم إلى الإسلام بالحسنى والرفق معهم، ومعاملتهم بالبر والقسط، والتصدق على فقراءهم.

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٤٦٥.

(٢) كتاب الصيد والذبائح/ باب الأَمْرِ بِإِحْسَانِ الذَّبْحِ وَالقَتْلِ وَتَحْدِيدِ الشَّفْرَةِ ٦/ ٧٢ ح ٥١٦٧.

ومن أعظم صور الإحسان إلى الناس كظم الغيظ والعفو عن مسيئهم ومقابلة الإساءة بالإحسان، وذلك من أعلى درجات الإيمان، ومن موجبات المغفرة والجنة ومحبة الله تعالى لعبده قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤]، وهذا الإحسان الذي يشمل الناس قريبهم وبعيدهم محسنهم ومسيئهم ينتج عنه ذوبان الأحقاد وأسباب العداء، ويقوي روابط المحبة والألفة بين الناس.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت:٣٤-٣٥].

الإحسان إلى الحيوان: ويكون بتعهده ورعايته وتوفير الطعام والشراب له وعلاجه إذا مرض، وأن لا يحمله من العمل ما لا يطيق، وأن يريحه إذا تعب من العمل.

قال الإمام القرطبي: فإنه تعالى يحب من خلقه إحسان بعضهم إلى بعض، حتى أن الطائر في سجنك والسنور في دارك لا ينبغي أن تقصر تعهده بإحسانك(١).

والإحسان إلى الحيوان من أسباب دخول الجنة ومغفرة الذنوب، كما أن تعذيب الحيوان سبب من أسباب دخول النار.

أخرج مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الكَلْبَ مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الكَلْبَ؛ فَشَكَرَ الله لَهُ فَغَفَرَ لَهُ**»

(١) تفسير القرطبي ١٠/ ١٦٦.

قَالُوا: يَا رَسُولَ الله :وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ البَهَائِمِ لأَجْرًا فَقَالَ: «**فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**»(١).

وأخرج عَنْ عَبْدِ الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله - ﷺ- قَالَ: «**عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ؛ لاَ هي أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلاَ هي تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ**»(٢).

ثالثا: الإحسان في الأعمال الدنيوية:

ينبغي لكل عامل وصانع وذو مهنة أن يحسن عمله ويجوّده من كل وجه ظاهرًا وباطنًا بحيث لا يبقى فيه مقالًا لناقد؛ وبهذا أمر النبي ﷺ، أخرج أبو يعلى في مسنده عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النبي ﷺ قال: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه**» (٣).

---

(١) كتاب السلام/ باب فَضْلِ سَاقِي البَهَائِمِ المُحْتَرَمَةِ وَإِطْعَامِهَا. ٧/ ٤٤ ح ٥٩٩٦.

(٢) كتاب السلام باب تحريم قتل الهرة ٧/ ٤٣ ح ٥٩٨٩.

(٣) ٧/ ٣٤٩ ح ٤٣٨٦ وقال حسن أسد المحقق للمسند: لين والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط ١/ ٢٧٥ ح ٨٩٧ وقال الطبراني: تفرد به بشر بن السري، وأخرجه البيهقي في الشعب ٤/ ٣٣٤ ح ٥٣١٢ جميعهم من طريق بشر بن السري عن مصعب بن ثابت عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا به، ومصعب بن ثابت قال عنه ابن حجر: لين الحديث. انظر التقريب ٥٣٣ ت ٦٦٨٦. قلت: هذا إسناد ضعيف لضعف مصعب.

وللحديث شواهد تقويه، وقد حسن الألباني الحديث في الجامع الصحيح (٢٧٧ ح ٢٧٦١) وفي السلسلة الصحيحة (٢/ ٢٨٧) وقال: ... وللحديث شاهد يقويه بعض القوة وهو بلفظ: «**إن الله يحب من العامل إذا عمل أن يحسن**». أخرجه البيهقي. في «الشعب» من حديث قطبة بن العلاء بن المنهال عن أبيه عن عاصم بن كليب عن كليب بن شهاب الجرمي مرفوعا....وقال: وقطبة بن العلاء أورده الذهبي في «الضعفاء» وقال: ضعفه النسائي وقال أبو حاتم لا يحتج به. انظر المغني في الضعفاء للذهبي ٢/ ٥٢٥ ت ٥٠٥٢.

قلت: في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم قال: سألت أبى عنه فقال: كتبنا عنه ما بلغنا الاخير، قلت له: إن البخاري ادخله في كتاب الضعفاء قال ذلك مما تفرد به، قلت: ما حاله؟ قال: شيخ يُكتب حديثه ولا يُحتج به. (٧/ ١٤٢ ت ٧٩٢).

=

قال المناوي: أي يحكمه، فعلى الصانع الذي استعمله الله في الصور والآلات والعدد مثلًا أن يعمل بما علمه الله عمل إتقان وإحسان بقصد نفع خلق الله الذي

=

قال -أعني الذهبي-: والده العلاء لا يعرف. قلت: (قال الذهبي في المغني: فيه جهالة ٢/ ٤٤، ت ٤١٩٢).

وعاصم بن كليب قال ابن المديني: لا يحتج بما انفرد به. ا هـ. انظر المغني ١/ ٣٢١ ت ٢٩٩٢. وكليب ذكره ابن عبدالبر في الصحابة وقال: له ولأبيه شهاب صحبة «الاستيعاب» ١/ ٤١٢، لكن قال في التقريب: وهم من ذكره في الصحابة بل هو من الثالثة. التقريب (٤٦٣ ت ٥٦٦٠)؛ وعليه فالحديث مرسل.

قلت: مرسل وضعيف لضعف قطبة وجهالة أبيه وعاصم لا يحتج بما انفرد به.

والحديث رواه الطبراني أيضا في «الكبير» (١٩/ ١٩٩ح ٤٤٨) كما في «المجمع» وقال: «وفيه قطبة بن العلاء وهو ضعيف، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به وجماعة لم أعرفهم». مجمع الزوائد (٤/ ١٦٧ ح ٦٤٦١).

وله شاهد أخرجه ابن سعد في «الطبقات» قال: أخبرنا محمد بن عمر حدثنا أسامة بن زيد عن المنذر بن عبيد عن عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت عن أمه، وكانت أخت مارية يقال لها: سيرين، فوهبها النبي ﷺ لحسان فولدت له عبد الرحمن - قالت: رأيت النبي ﷺ لما حضر إبراهيم وأنا أصيح وأختي ما ينهانا، فلما مات نهانا عن الصياح وغسله الفضل بن عباس، ورسول الله ﷺ جالس، ثم رأيته على شفير القبر ومعه العباس إلى جنبه ونزل في حفرته الفضل وأسامة زيد وكسفت الشمس يومئذ، فقال الناس: لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: «**إنها لا تخسف لموت أحد ولا لحياته**»، ورأى رسول الله ﷺ فرجة في اللبن فأمر بها تسد، فقيل للنبي ﷺ، فقال: «**أما إنها لا تضر ولا تنفع ولكنها تقر عين الحي وإن العبد إذا عمل عملا أحب الله أن يتقنه**».

وإسناده رجال موثقون غير محمد بن عمر وهو الواقدي فإنه ضعيف جدا. الطبقات الكبرى (١م ١٤٣، ٨/ ٢١٥) ومحمد بن عمر الواقدي عملا أحب الله أن يتقنه. التقريب (٤٩٨ ت ٦١٧٥).

قلت: وهذا الحديث أخرجه الطبراني من طريق محمد بن الحسن بن زبالة المخزومي عن محمد بن طلحة التيمي عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة بن النعمان عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أمه سيرين به. المعجم الكبير (٢٤/ ٣٠٦ ح ٧٧٦). وهذا إسناد ضعيف أيضا لأن فيه محمد بن الحسن بن زبالة كذبوه. انظر: التقريب (٤٧٤ ت ٥٨١٥).

فهذه الشواهد تقوي الحديث وتحسنه كما قال الألباني فالحديث حسن بشواهده

استعمله في ذلك، ولا يعمل على نية أنه إن لم يعمل ضاع ولا على مقدار الأجرة، بل على حسب إتقان ما تقتضيه الصنعة[١].

رابعا الإحسان إلى النفس:

جميع صور الإحسان هي في المقام الأول إحسان إلى النفس؛ لأن نفع الإحسان يعود على العبد في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾ [الإسراء:٧].

ومن الإحسان إلى النفس إخلاص العبادة لله تعالى والبعد عن الشبه والضلالات وحفظ النفس من كل ما يضرها في دينها أو دنياها والعمل بكل ما يعود عليها بالنفع في دنياها أو أخراها.

الأمر الثالث: إيتاء ذي القربى:

قال تعالى: ﴿وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل:٩٠].

قال ابن منظور: الإِيتاءُ: الإِعْطاء آتى يُؤَاتي إِيتاءً وآتاهُ إِيتاءً أَي أَعطاه. ويقال لفلان: أَتْوٌ: أَي عَطاء، وآتاه الشيءَ أَي أَعطاه إِيَّاه[٢].

وقال الراغب: والإيتاء الإعطاء وخص دفع الصدقة في القرآن بالإيتاء نحو: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ﴾ [البقرة:٢٧٧] - ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [الأنبياء:٧٣] - ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ [البقرة:٢٢٩] - ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ﴾ [البقرة:٢٤٧][٣].

---

(١) فيض القدير ٢/ ٢٦٣.

(٢) لسان العرب ٢/ ٥٨٨.

(٣) انظر: المفردات ٩، وبصائر ذوي التمييز ٢/ ٤٦.

قوله: ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل:٩٠] المراد به صلة الأرحام، وأكثر المفسرين(١) على أنه داخل في العدل والإحسان ذكره الله تعالى بعدهما تنبيهًا عليه واعتناءً به. فالله عز وجل أمر بالعدل الواجب، ثم أمر بالإحسان، ثم عطف عليه إيتاء ذي القربى من باب عطف الخاص على العام.

وللطاهر ابن عاشور كلامًا طيبًا في هذا المعنى قال: وخَصّ الله بالذّكر من جنس أنواع العدل والإحسان نوعًا مُهمًّا يكثر أن يغفل الناس عنه ويتهاونوا بحقّه أو بفضله؛ وهو إيتاء ذي القربى، فقد تقرّر في نفوس الناس الاعتناء باجتلاب الأبعدِ واتّقاء شرّه، كما تقرّر في نفوسهم الغفلة عن القريب، والاطمئنان من جانبه، وتعوّد التساهل في حقوقه. ولأجل ذلك كثر أن يأخذوا أموال الأيتام من مواليهم، وكانوا يصرفون معظم إحسانهم إلى الأبْعدين لاجتلاب المحمدة وحسن الذّكر بين الناس. ولم يزل هذا الخُلق متفشّيًا في الناس حتى في الإسلام إلى الآن ولا يكترثون بالأقربين.

وقد كانوا في الجاهلية يقصدون بوصايا أموالهم أصحابهم من وجوه القوم؛ ولذلك قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٨٠](٢).

وقد رغب الله تعالى في صلة الأرحام فشق لها اسمًا من اسمه، وجعل صلتها سبب في وصله تعالى، وقطيعتها سبب في قطيعته تعالى.

أخرج الترمذي بسند صحيح عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ الله : أَنَا الله وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنَ**

(١) انظر: كلام المفسرين في تفسير القرطبي ١٠/ ١٦٧، والفخر ٢٠/ ٢٦٣، وروح المعاني ٤/ ٢١٨، المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٠، روح البيان ٥/ ٥٤، وغيرها.

(٢) انظر: التحرير والتنوير ١٤/ ٢٥٦.

اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ»(١).

وأخرج مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: «**إِنَّ الله خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ مِنَ القَطِيعَةِ. قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى. قَالَ: فَذَاكَ لَكِ**». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾** [محمد: ٢٢-٢٤]»(٢).

وجعل الله ثواب الإحسان إلى ذوي الأرحام مضاعف، أخرج الترمذي عن سلمان بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذوي الرحم ثنتان صدقة وصلة**»(٣).

وقد جاء الأمر من الله تعالى بصلة الأرحام والإحسان إليهم وإعطائهم والحث على ذلك، فجاء الأمر عاما لم يبين الله تعالى فيه نوع الإيتاء هل هو حق أم ندب ولم يذكر ما يؤتاه ذوو القربى كما في قوله تعالى هنا: ﴿وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل:٩٠].

وجاء الأمر بإيتاء الحق الواجب كما في قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء:٢٦].

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم:٣٨].

---

(١) كتاب البر والصلة/ باب قطيعة الرحم ٤/ ٣١٥ ح ١٩٠٧، والحديث صححه الألباني.

(٢) كتاب البر والصلة/ باب صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا.

(٣) كتاب الزكاة/ باب الصدقة على ذي القربى ٣/ ٤٦ ح ٦٥٨، وصححه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب ١/ ٢١٧ ح ٨٩٢، مكتبة المعارف - الرياض.

وفي آيات أخرى من القرآن حث الله تعالى على إعطاء ذوي القربى من المال كما في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة:١٧٧] وهذا يشمل الصدقة وغيرها.

وتارة يكون الإيتاء والصلة بالنفقة على فقرائهم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النور:٢٢]

وتارة يكون الإيتاء بالإطعام كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾ [البلد:١٤-١٥]

وتارة يكون الإيتاء من التركة إذا حضروا القسمة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء:٨]

فما الذي يؤتاه ذوو القربى؟

ذهب الإمام ابن جرير إلى أن الذي يؤتاه أولوا القربى الحق الواجب قال: قوله: ﴿وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ يقول: وإعطاء ذي القربى الحقّ الذي أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم[١]، وهذا الحق هو البر والصلة كما قال الإمام الألوسي[٢].

وقال الإمام القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي القرابة؛ يقول: يعطيهم المال كما قال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء:٢٦] يعني صلته[٣].

وقال الإمام الخازن: ﴿وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ يعني ويأمر بصلة الرحم، وهم القرابة الأدنون والأبعدون منك، فيستحب أن تصلهم من فضل ما رزقك الله، فإن لم يكن لك فضل فدعاء حسن وتودد[٤].

---

(١) جامع البيان ١٧/ ٢٧٩.
(٢) انظر روح المعاني ١٤/ ٢١٨.
(٣) تفسير القرطبي ١٠/ ١٦٧.
(٤) تفسير الخازن ٤/ ١١٠.

وقال الإمام أبو السعود: ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي إعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه[١].

والراجح أن الأمر في الآية عام فالله تعالى لم يذكر ما يؤتاه أولو القربى، فكل ما هو بر وصلة من حق واجب أو ندب مأمور به في الآية.

قال الإمام ابن عطية: ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ لفظ يقتضي صلة الرحم ويعم جميع إسداء الخير إلى القرابة وتركه مبهما أبلغ لأن كل من وصل في ذلك إلى غاية وإن علت يرى أنه مقصر[٢].

<><> <><> <><>

(١) تفسير أبي السعود ٥/ ١٣٦.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٠، والبحر المديد ٤/ ٥٢.

المبحث الثاني

المنهيـــات

نهى الله تعالى عن ثلاث أمور في الآية، فقال تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾.

النهي الأول: الفحشاء قال تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾.

الفحشاء الفُحْش والفَحْشاءُ والفاحِشةُ ما عظم قبحه واشتد نكره من الأفعال والأقوال. قال ابن عرفة في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الأعراف:٣٣]: هي كل ما نهي الله تعالى عنه.

والفواحش عند العرب كل ما قبح ومنه مكان فاحش، وقد تفاحش وتفاحش.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [النساء:١٩].

قيل: أن تزني فتحرج للحد وقيل: اللواطة وقيل أن تبذو على زوجها أو على أحمائها.

وقيل: الفحشاء البخل والفاحش البخيل، قال طرفة:

أَرى المَوْتَ يَعتامُ[1] الكِرامَ ويَصْطَفي ** عَقِيلَةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ[2]

والفاحِشُ: السَّيِّء الخُلُق، المتشدّد البخيل.

والفحش الزيادة على ما يتعارف عليه الناس حتى يخرج إلى حد الإنكار؛ كطول القامة وكبر الوجه المفرطين، قال امرىء القيس:

---

(١) يَعْتامُ يختار يَصْطفي أَي يأْخذ صَفْوته وهي خِيارُه وعَقِيلةُ المال أَكرمُه وأَنفَسُه (لسان العرب ٦/ ٣٢٥).

(٢) ديوان طرفة بن العبد ٢٦، دار الكتب العلمية ط الثالثة ١٤٢٣ هجرية - ٢٠٠٢ ميلادية.

وجيد كجيد الرئم[١] ليس بفاحش ** إذ هي نصته[٢] ولا بمعطل[٣]

... والحاصل أن كل ما تزايد قبحه فهو فاحش وإن خصه العرف بأخص من ذلك[٤].

وذكر المفسرون في معنى ﴿ٱلْفَحْشَآءِ﴾ هنا أقوالًا منها:-

الأول: القبيح من القول والفعل، وهذا القول عام في جميع المحرمات والأقوال والأفعال المذمومة.

الثاني: النهي عن الفحشاء في الآية هو نهي عن الذنوب المفرطة في القبح قولًا وفعلًا، فالفحشاء يراد بها كبائر الذنوب.

الثالث: قال ابن عباس رضي الله عنهما (الفحشاء: الزنا) وقيل: هذا تمثيل وليس تخصيص.

الرابع: وقيل الفحشاء: البخل.

الخامس: وقيل الفحشاء: هي ما يستسر بفعله من القبائح.

السادس: وقيل الفحشاء: الركون لغير الله تعالى[٥].

---

(١) الرئم: الظبي الأبيض الخالص البياض.

(٢) نصته: أي رفعته.

(٣) ديوان امرؤ القيس ١١٥، تحقيق/ مصطفى عبدالشافي - دار الكتب العلمية - بيروت ط الخامسة ١٤٢٥هجرية/ ٢٠٠٢ ميلادية.

(٤) انظر لسان العرب ٦/ ٣٢٥ معجم مقاييس اللغة ٤/ ٤٧٨، المفردات في غريب القرآن ٣٧٣: ٣٧٤، وعمد الحفاظ ٣/ ٢٠٦ بتصرف منها.

(٥) انظر جميع الأقوال في جامع البيان للطبري ١٧/ ٢٨٠، وتفسير الخازن ٤/ ١١٠، بحر العلوم ٢/ ٢٨٧، الفخر ٢٠/ ١٦٣، والنكت والعيون للماوردي ٣/ ٢٠٩، السراج المنير ٢/ ٢٨٧، وزاد المسير ٤/ ٤٨٣، ابن كثير ٤/ ٥٩٦، القرطبي ١٠/ ١٦٧ من جميعها بتصرف كبير.

وفسر الإمام الفخر ومن وافقه المنهيات الثلاث بما ينتج عن القوى البشرية الثلاث التي تحتاج إلى تأديب وتهذيب؛ وهي الشهوانية البهيمية والعصبية السبعية والوهمية الشيطانية.

قال الإمام الفخر: أما القوة الشهوانية، فهي إنما ترغب في تحصيل اللذات الشهوانية، وهذا النوع مخصوص باسم الفحش، ألا ترى أنه تعالى سمى الزنا فاحشة فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢][1]، فقوله تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ﴾ المراد منه المنع من تحصيل اللذات الشهوانية الخارجة عن إذن الشريعة [2].

وقال ابن عجيبة: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ﴾ عن الإفراط في متابعة القوة الشهوية، كالزنى؛ فإنه أقبح أحوال الإنسان وأشنعها [3].

والراجح من تلك الأقوال هو القول الثاني وهو أن المراد بالفحشاء ما تزايد قبحه واشتد نكره من الذنوب.

قال الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: فأما الفحشاء: فاسم جامع لكل عمل أو قول تستفظعه النفوس لفساده من الآثام التي تفسد نفس المرء؛ من اعتقاد باطل أو عمل مفسد للخلق، والتي تضرّ بأفراد الناس بحيث تلقي فيهم الفساد من قتل أو سرقة أو قذف أو غصب مال، أو تضرّ بحال المجتمع وتدخل عليه الاضطراب من حرابة أو زنا أو تقامر أو شرب خمر. فدخل في الفحشاء كل ما يوجب اختلال المناسب الضروري،

---

(١) استدل الإمام الفخر بهذه الآية ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢] ولعله أراد الآية التي ذكرتها.

(٢) تفسير الفخر الرازي ٢٠ ٢٦٣.

(٣) البحر المديد ٤/ ٧٣، وانظر تفسير أبي السعود ٥/ ١٣٦، وروح المعاني ١٤/ ٢١٨، والبيضاوي ٤١٦

وقد سمّاها الله الفواحش[1].

ولقد ذكر الله تعالى الفاحشة والفحشاء في العديد من آيات القرآن الكريم فجاء ذكر الفحشاء والنهي عنها كما في قوله تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، وذكر سبحانه أنه لا يأمر بها فقال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٨]، وذكر سبحانه أن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر فقال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وذكر سبحانه أن الشيطان يأمر بالفحشاء فقال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨]

وسمى الله تعالى بعض الذنوب فاحشة فسمى سبحانه الزنا فاحشة قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ﴾ [النساء:١٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢].

وسمى الله تعالى اللواط فاحشة فقال: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأعراف:٨٠].

وسمى تعالى نكاح زوجة الأب فاحشة فقال: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء:٢٢].

ونهي الله تعالى عن الفواحش وحرمها فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ﴾ [الأنعام:١٥١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف:٣٣].

فهذه الآيات تبين أن الفواحش أنواع كثيرة منها ما خصه الله تعالى بالذكر لفرط قبحه كالزنا واللواط. فكل ما اشتد قبحه واستفظعته الفطر السليمة فهو فاحشة.

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٢٥٧.

☜ أقسام الفواحش:

وقسمت الآيات الفواحش إلى فواحش ظاهرة وفواحش باطنة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام:١٥١].

أولا: الفواحش الظاهرة:

قال الإمام ابن جري: ولا تقربوا الظاهرَ من الأشياء المحرّمة عليكم، التي هي علانية بينكم لا تناكرون ركوبها [١].

وقيل:ما ظهر منها: زنا الحوانيت.

وقيل:زنا العلانية وهو ما كانوا يستقبحونه.

وقيل: ما ظهر منها: الخمر[٢].

وقيل: ما ظهر منها: الفواحش التي تتعلق بحركات البدن.

وقيل: ما يكون بينه وبين العباد [٣].

ثانيا: الفواحش الباطنة:

قال الإمام ابن جرير: والباطنَ منها الذي تأتونه سرًّا في خفاء لا تجاهرون به، فإن كل ذلك حرام [٤].

وقيل: ما بطن ما خفي من الزنا وكانوا لا يستقبحونه.

---

(١) جامع البيان ١٢/ ٢١٨.

(٢) انظر جامع البيان ١٢/ ٢١٨: ٢٢٠، الفخر ١٣/ ١٧٩ بتصرف.

(٣) انظر تفسير السعدي ٢٨٧ وانظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ١٧/ ٢١١، وشرح سنن أبي داود للعيني ٤/ ٢٤٥.

(٤) جامع البيان١٢/ ٢١٨.

وقيل: الزنا [١].

وقال الإمام القرطبي: وما بطن ما عقد عليه القلب من المخالفة [٢].

وقال السعدي: وما بطن: أي الفواحش التي تتعلق بحركات القلوب كالكبر والعجب والرياء والنفاق [٣].

وقال العيني: وما بطن ما يكون بينه وبين الله. وقيل: اعتقاد القلب [٤].

وقد رجح الإمام الطبري والإمام الفخر الرازي القول بالعموم في الفواحش الظاهرة والباطنة، فقال: وليس ما قالوا من ذلك بمدفوع، غير أن دليل الظاهر من التنزيل على النهي عن ظاهر كل فاحشة وباطنها، ولا خبر يقطع العذرَ، بأنه عنى به بعض دون جميع. وغير جائز إحالة ظاهر كتاب الله إلى باطن، إلا بحجة يجب التسليم لها [٥].

وقال الإمام الفخر: والأولى أن لا يخصص هذا النهي بنوع معين، بل يجري على عمومه في جميع الفواحش ظاهرها وباطنها لأن اللفظ عام. والمعنى الموجب لهذا النهي وهو كونه فاحشة عام أيضًا ومع عموم اللفظ والمعنى يكون التخصيص على خلاف الدليل [٦].

وتتنوع الفواحش الظاهرة والباطنة إلى أنواع منها:-

---

(١) انظر جامع البيان ١٢/ ٢١٨: ٢٢٠، الفخر ١٣/ ١٧٩ بتصرف.

(٢) تفسير القرطبي ٧/ ١٣٣.

(٣) تفسير السعدي ٢٨٧.

(٤) انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ١٧/ ٢١١،وشرح سنن أبي داوود للعيني ٤/ ٢٤٥.

(٥) جامع البيان ١٢/ ٢١٨.

(٦) تفسير الفخر الرازي ١٣/ ١٧٣.

أولا: فواحش فعلية.

ثانيًا: فواحش قولية.

ثالثًا: فواحش قلبية.

أولًا: الفواحش الفعلية:

كل ما اشتد قبحه من الأفعال فهو فاحشة.

ومن أمثلة الفواحش الفعلية ما يلي:-

١ - العلاقات الجنسية المحرمة كالزنا واللواط.

٢- شرب الخمر.

أولًا: العلاقات الجنسية المحرمة وخطرها على الفرد والمجتمع:

١ - الزنا: هو أفحش الفواحش وهذه الفعلة الشنعاء فاحشة مقبحة محرمة في كل الأديان، وعند أصحاب العقول والفطر السليمة، وهي أكبر الكبائر بعد الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وقد قرنها الله تعالى بهما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان:٦٨-٦٩]، وذكرها الله تعالى بين قتل الأولاد وقتل النفس قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء:٣١-٣٣]؛ وذلك لأنه قتل معنوي قتل للشرف والعزة والكرامة قتل للفضيلة والأخلاق. كما هذا الفعل قد يؤدي إلى القتل.

☜ مفاسد ومضار الزنا:

إنه شر مستطير على الأفراد والأسر والمجتمعات، وقد ذكر الإمام ابن القيم بعض أضراره فقال: ومفسدة الزنا مناقضة لصلاح العالم؛ فإن المرأة إذا زنت أدخلت العار على أهلها وزوجها وأقاربها ونكست رؤوسهم بين الناس، وإن حملت من الزنا فإن قتلت ولدها جمعت بين الزنا والقتل، وإن حملته الزوج أدخلت على أهلها وأهله أجنبيًّا ليس منهم فورثهم، وليس منهم ورآهم وخلا بهم وانتسب إليهم، وليس منهم إلى غير ذلك من مفاسد زناها.

وأما زنا الرجل فإنه يوجد اختلاط الأنساب أيضًا وإفساد المرأة المصونة وتعريضها للتلف والفساد.

ومن خاصيته أنه يوجب الفقر، ويقصر العمر، ويكسو صاحبه سواد الوجه، وثوب المقت بين الناس.

ومن خاصيته أيضا أنه يشتت القلب ويمرضه إن لم يمته، ويجلب الهم والحزن والخوف، ويباعد صاحبه من الملك ويقربه من الشيطان فليس بعد مفسدة القتل أعظم من مفسدته؛ ولهذا شرع فيه القتل على أشنع الوجوه وأفحشها وأصعبها ولو بلغ العبد أن امرأته أو حرمته قتلت كان أسهل عليه من أن يبلغه أنها زنت [1].

ومن مخاطره أن ولد الزنا قد يتزوج من محارمه.

ومن أضراره تجعل الرجل يشك في حريمه وأولاده، ومع هذا الشك تتحول الحياة إلى جحيم.

ومن أضراره ينزع عن العبد لباس الإيمان والعفة فيقال: زان وفاسق وفاجر

---

(١) الجواب الكافي ٢٢٠، المؤسسة السعودية بمصر.

أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لاَ يَزْنِى الزَّانِي حِينَ يَزْنِى وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(١).

وهو أحد الأسباب التي تؤدي إلى القتل وانتشار الفوضى والبغضاء بين الناس.أخرج مسلم عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفِحٍ عَنْهُ. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ الله -ﷺ- فَقَالَ «**أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، فَوَالله لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَالله أَغْيَرُ مِنِّى، مِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ الله حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**»(٢).

ويرفع حرمة فاعله فإن كان محصنًا يقتل رجمًا أخرج مسلم عَنْ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ: «**لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنِّى رَسُولُ الله إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**»(٣).

وإن كان غير محصن فإنه يجلد مائة جلدة قال تعالى: ﴿**ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [النور:٢]، وفي هذا من التوبيخ والإهانة ما فيه.

وفيه من الأضرار أن الله تعالى لا يقبل من الزاني دعاءً أخرج الطبراني في الأوسط عن عثمان بن أبي العاص الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: «**تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد: هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيعطى، هل من مكروب فيفرج عنه؟ فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله عز وجل له، إلا زانية تسعى**

---

(١) كتاب الإيمان/ باب بَيَانِ نُقْصَانِ الإِيمَانِ بِالمَعَاصِي وَنَفْيِهِ عَنِ الْمُتَلَبِّسِ بِالْمَعْصِيَةِ عَلَى إِرَادَةِ نَفْيِ كَمَالِهِ. ١/ ٥٤ ح ٢١١.

(٢) كتاب اللعان/ باب ١/ ٤/ ٢١١ح ٣٨٣٧.

(٣) كتاب القسامة/ باب مَا يُبَاحُ بِهِ دَمُ الْمُسْلِمِ ٤/ ١٠٦ ح ٤٤٦٨.

بفرجها أو عشارًا» (١).

إنه سبب في غضب الله تعالى مما يؤدي إلى نزول العذاب ووقوع الهلاك، أخرج الحاكم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: نهي رسول الله ﷺ أن تشترى الثمرة حتى تطعم وقال: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**». هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٢).

وهو سبب في الأمراض الفتاكة أخرج ابن ماجة عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِالله أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا المِكْيَالَ وَالمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ المَؤُنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا القَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلاَ البَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ الله عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ الله وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ الله إِلاَّ جَعَلَ الله بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ**»(٣).

---

(١) المعجم الأوسط ٢/ ١٥٤ ح ٢٧٦٩ والحديث صححه الألباني انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ٥٢٩ح ٢٧٦٩، (والعشار هو الظالم في أخذ عشره).

(٢) المستدرك كتاب البيوع ٢/ ٤٣ ح ٢٢٦١ وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ٦٩ح ٦٨١.

وللحديث شاهد أخرجه الإمام أحمد عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه ١/ ٤٠٢ ح ٣٨٠٩ وقال شعيب الأرنئوط: صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف لضعف شريك، وأخرجه كذلك ابن حبان وقال شعيب الأرنئوط: صحيح لغيره ١٠/ ٢٥٨ ح ٤٤١٠.

(٣) كتاب الفتن/ باب العقوبات ٢/ ١٣٣٢ح ٤٠١٩ وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ١٣٩٤ ح ١٣٩٣٨.

☜ أضرار الزنا الصحية:

جاء في مجلة البحوث الإسلامية: أما أضرار الزنا الصحية، حسب العلم الحديث فيقول الدكتور الفرنسي عبد المعطي -الذي أسلم حديثًا وكان قبل إسلامه طبيبًا، وقرأ القرآن فوجد فيه عجائب طبية فأسلم.

يقول هذا الطبيب: وحسْب الإنسان أن يعلم أن الزنا ينشر أمراضًا خطيرة فتاكة كالزهَري والسيلان والقرحة الرخوة والقرحة الأكالة.

كل واحدة منها أخطر من غيرها، ويعتقد أن الزهَري أخطرها؛ لأنه يقود إلى الشلل، وتصلب الشرايين، والذبحة الصدرية، وسقوط الشعر، وفي المرأة الإجهاض، وفي الجنين البله، والضمور العضلي والوراثي. والسيلان، ويؤدي إلى العقم والتهاب الجهاز التناسلي بأجمعه والعمى وروماتزم الشبان[1].

إنه سبيل سيء به خراب الدنيا وضياع الدين، ولقد نهي الله تعالى ووصفه فقال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٣٢].

١ - اللواط:

وهو أقبح الفاحشتين وأشدهما خطرًا فهو مناقض للفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأول من فعل تلك الفاحشة قوم لوط عليهم لعنة الله، قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأعراف:٨٠-٨١]، وقال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ ﴾ [العنكبوت: ٢٨، ٢٩].

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية العدد الثالث والعشرون ١٥١.

لقد ذمهم الله تعالى في كتابه فقال: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ [الأنبياء:٧٤] قال الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ورجل السَّوءْ هو الذي يسوء كل مَنْ يخالطه، لا يسوء البعض دون البعض، فكل مَنْ يخالطه أو يحتكّ به يسوؤه.

والفسْق: الخروج عن أوامر التكليف [١].

لقد عرف قوم لوط بوصفين قبيحين «السوء والفسق»، وسماهم لوط عليه السلام بالمفسدين والمسرفين والجاهلين قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت:٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف:٨١]، وقال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل:٥٥].

وسماهم الله تعالى بالمجرمين ولظالمين قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الحجر:٥٧-٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ [العنكبوت: ٣١] لقد عكسوا الفطرة التي فطر الله الرجال عليها؛ فاشتهوا الرجال من دون النساء، وجمعوا من الصفات القبيحة ما لم يجمعها غيرهم من الأقوام؛ ولهذا جمع الله عليهم من أنواع العذاب ما لم يجمعه على غيرهم من الأمم قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الحجر:٧٣-٧٤] لقد أرسل الله عليهم الصيحة التي قطعت قلوبهم ونكسوا على رءوسهم وانقلبت عليهم ديارهم فصار أعلاها أسفلها، واتبعوا بعد ذلك بحجارة من سجيل، قال ابن كثير: أي: أمطرنا

(١) تفسير الشعراوي.

عليها حجارة من «سجيل» وهي بالفارسية: حجارة من طين، قاله ابن عباس وغيره.

وقال بعضهم: وهو الحجر، وهو الطين، وقد قال في الآية الأخرى: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات:٣٣] أي: مستحجرة قوية شديدة. وقال بعضهم: مشوية، وقال بعضهم: مطبوخة قوية صلبة.

وقوله «سِجيل»: الشديد الكبير. سجيل وسجين واحد، اللام والنون أختان.

وقوله: ﴿مَّنضُودٍ﴾ قال بعضهم: منضودة في السماء، أي: معدة لذلك.

وقال آخرون: ﴿مَّنضُودٍ﴾ أي: يتبع بعضها بعضا في نزولها عليهم.

وقوله: ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ أي مُعْلمَة مختومة، عليها أسماء أصحابها، كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه [١].

☜ مفاسد ومضار اللواط:

في اللواط من المفاسد والأضرار ما لا يحصى قال الإمام ابن القيم: فإن في اللواط من المفاسد ما يفوت الحصر والتعداد، ولأن يقتل المفعول به خير له من أن يؤتى فإنه يفسد فسادًا لا يرجى له بعده صلاح أبدًا، ويذهب خيره كله، وتمص الأرض ماء الحياء من وجهه؛ فلا يستحي بعد ذلك لا من الله ولا من خلقه، وتعمل في قلبه وروحه نطفة الفاعل ما يعمل السم في البدن [٢].

حقًّا من تجرأ على تلك الفعلة الشنيعة فقد نزف ماء الحياء من وجهه فلا خير فيه بوجه من الوجوه.

ومن أضراره أيضًا النفسية والاجتماعية أنه:

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٤٠

(٢) الجواب الكافي ٢٣٣

- يفسد الشباب ويزرع فيهم السلبية، والتخنث.

- يسلب الرجولة والعزة والكرامة، ولأن يقتل المفعول به أكرم له من أن يؤتى.

- يضيع حق المرأة وحظها من زوجها؛ مما قد يؤدي إلى انحرافها.

- يفقد الثقة بين الناس ويجعل كل أسرة تخاف على أولادها ولا تأمن عليهم.

- وتؤدي تلك الفاحشة إلى غضب الله تعالى ويستتبع ذلك مجيء العذاب والهلاك، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك فقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود:٨٢-٨٣]، وفي ذلك وعيد لمن لم يعتبر بما حل بقوم لوط ولم يترك خبائثهم بأنه سيصيبه مثل ما أصابهم.

ومن أضراره أنه يزيل حرمة فاعله فيسمى فاسق وخبيث ولوطي ويستباح دمه، أخرج أبو داوود وابن ماجة والترمذي بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به**»(١).

وأخرج ابن ماجة عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِي ﷺ فِي الَّذِي يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ قَالَ: «**ارْجُمُوا الأَعْلَى وَالأَسْفَلَ ارْجُمُوهُمَا جَمِيعًا**»(٢).

ومن أضراره الدينية أنه سبب في اللعن والطرد عن رحمة الله تعالى، أخرج الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَعَنَ الله مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الأَرْضِ لَعَنَ الله مَنْ**

---

(١) سنن أبي داوود كتاب الحدود/ باب فيمن عمل عمل قوم لوط ٤/ ٢٦٦ ح ٤٤٦٤، سنن ابن ماجة كتاب الحدود/ باب فيمن عمل عمل قوم لوط ٢/ ٨٥٦ ح٢٥٦١، سنن الترمذي كتاب الحدود/ باب حد اللوطي ٤/ ٥٧ ح ١٤٥٦ وصححه الألباني انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ١١٥٤ ح ١١٥٣٥.

(٢) كتاب الحدود/ باب فيمن عمل عمل قوم لوط ٢/ ٨٥٦ ح٢٥٦٢.

تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ كَمَهَ أَعْمَى عَنِ الطَّرِيقِ لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ وَقَعَ عَلَى بَهِيمَةٍ، لَعَنَ اللهُ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ» قَالَهَا ثَلاَثًا[1]، وقد لعن رسول الله ﷺ من أصحاب الكبائر من لعن فلم يزد عن واحدة، ولعن مَنْ عمل عمل قوم لوط ثلاث مرات؛ وذلك لعظم مفسدته.

☜ الأضرار الصحية للواط:

جاء في مجلة البحوث الإسلامية: اللواط ملحق بالزنا[2] وله ما لا يحصى من الأضرار؛ لأن الجهاز التناسلي خلق خاليًا من الجراثيم عادة وخلق للاتصال بجهاز مثله خال منها أيضا، ولم يخلق للاتصال بنهاية الأمعاء الغليظة التي تخرج منها الفضلات وتحمل الجراثيم الضارة، ومن المعلوم أن الجهاز التناسلي يرتبط بإفرازات الغدة النخامية التي تتحكم بنشاط أجهزة الجسم المختلفة.

فإذا اتصل الجهاز التناسلي مع الجراثيم التي في الفضلات تدخل هذه الجراثيم في الجهاز الذي ليست له مناعة كافية للقضاء عليها؛ لأنه لم يخلق للاتصال بها، فتنتشر في الجسم عن طريقه إلى الغدد النخامية ويتلف الجسم.

أما المفعول به فتتمزق وتتلف أنسجته، ويفقد السيطرة على البراز فيخرج منه دون إرادته.

إن أصحاب اللواط معَرَّضون أكثر من غيرهم للإصابة بالأمراض العصبية والنفسية واختلال التوازن العقلي؛ نتيجة قلة الإفرازات الداخلية التي تفرزها الغدة الدرقية[3].

---

(١) المسند ١/ ٣١٧ ح ٢٩١٧ وقال شعيب الأرنئوط: إسناده جيد. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٦/ ٤ ح ٣٤٢٦.

(٢) راجع أضرار الزنا الصحية.

(٣) مجلة البحوث الإسلامية العدد ٢٣/ ١٥١: ١٥٢.

هذه بعض أضرار فاحشتَي الزنا واللواط على الفرد والأسرة والمجتمع، وما ذكرته هنا غيض من فيض أن كل واحدة من الفاحشتين كفيلة بتدمير المجتمع أخلاقيًّا واقتصاديًّا وصحيًّا ودينيًّا وهدمه رأسًا على عقب.

☜ الفاحشة الثالثة: الخمر:

ومن الفواحش الفعلية التي نهى الله ورسوله عنها «الخمر» قال الراغب: أصل الخمر ستر الشيء، ويقال لما يستر به: خمار، لكن الخمار صار في التعارف اسمًا لما تغطي به المرأة رأسها...

والخمر سميت لكونها خامرة لمقر العقل، وهو عند بعض الناس اسم لكل مسكر. وعند بعضهم اسم للمتخذ من العنب التمر لما روي عنه ﷺ: «**الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة**»[1] [2].

والصحيح أن الخمر اسم لكل ما خامر العقل وهو مذهب الجمهور، وقد استدلوا على قولهم بما أخرجه مسلم عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ الله ﷺ يَقُولُ: «**أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّهُ نَزَلَ تَحْرِيمُ الخَمْرِ وَهي مِنْ خَمْسَةٍ: مِنَ العِنَبِ، وَالتَّمْرِ، وَالعَسَلِ، وَالحِنْطَةِ، وَالشَّعِيرِ. وَالخَمْرُ مَا خَامَرَ العَقْلَ**»[3].

قال ابن حجر: وقد خطب به عمر على المنبر بحضرة كبار الصحابة وغيرهم فلم ينقل عن أحد منهم إنكاره وأراد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنزول تحريم الخمر الآية المذكورة في أول كتاب الأشربة وهي آية المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتاب الأشربة/ باب بَيَانِ أَنَّ جَمِيعَ مَا يُنْبَذُ مِمَّا يُتَّخَذُ مِنَ النَّخْلِ وَالعِنَبِ يُسَمَّى خَمْرًا ٦/ ٨٩ ح ٥٢٥٧.

(٢) المفردات ١٥٩.

(٣) كتاب التفسير/ باب في نُزُولِ تَحْرِيمِ الخَمْر ٨/ ٢٤٥ ح٧٧٤٥.

عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة:٩٠] فأراد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التنبيه على أن المراد بالخمر في هذه الآية ليس خاصًا بالمتخذ من العنب بل يتناول المتخذ من غيرها فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فهموا من تحريم الخمر تحريم كل مسكر سواء كان من العنب أم من غيرها وقد جاء هذا الذي قاله عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ صريحًا.

عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الخمر من العصير والزبيب والتمر والحنطة والشعير والذرة، وإني أنهاكم عن كل مسكر**»[(١)(٢)].

وهذا يؤكد أن كل مسكر خمر أخرج مسلم عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**» [(٣)].

ولقد جاء الإسلام وأمر بحفظ العقل الذي كرم الله تعالى به الإنسان وفضّله به على سائر الحيوانات؛ فهو من أعظم النعم إذ به الفهم والتفكر والتدبر والتدبير لأمر المعاش والمعاد، والإنسان بدون العقل أضل من الحيوان لا يعي ما يقول، ولا يدري ما يفعل، ولا يفرق بين الخير والشر، ولا بين الحلال والحرام حتى أنه قد يقع على محارمه وهو لا يدري؛ ولهذا حرم الله تعالى ورسوله الخمر وكل ما يفسد العقل ويضعفه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة:٩٠-٩١] ففي هاتين الآيتين ذم للخمر وبيان للتحريم القطعي لها وبيان علة التحريم.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه كتاب الأشربة/ باب في آداب الشرب ١/ ١٩ ح ٥٣٩٨، وقال شعيب الأرنئوط: إسناده حسن. وأخرجه أبو داوود في سننه كتاب الأشربة/ باب الخمر مما هو ٣/ ٣٦٧ح٣٦٧٩ وصححه الألباني.

(٢) فتح الباري ١٠/ ٤٦.

(٣) كتاب الأشربة/ باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام ٥/ ١٠٠ ح ٥٣٣٧.

فالخمر رجس: والرجس هي القذر والنتن والخبث.

قال الراغب: رجس: الرجس الشيء القذر، يقال رجل رجس ورجال أرجاس. قال تعالى: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ والرجس يكون على أربعة أوجه: إما من حيث الطبع، وإما من جهة العقل، وإما من جهة الشرع، وإما من كل ذلك كالميتة، فإنها الميتة تعاف طبعًا وعقلًا وشرعًا، والرجس من جهة الشرع الخمر والميسر، وقيل: فإن ذلك رجس من جهة العقل، وعلى ذلك نبه بقوله تعالى: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة:٢١٩]؛ لأن كل ما يوفي إثمه على نفعه فالعقل يقتضي تجنبه [(١)].

وقال ابن عطية: الرجس: كل مكروه ذميم، وقد يقال للعذاب، وقال ابن عباس في هذه الآية: «رجس» سخط، وقد يقال للنتن وللعذرة والأقذار رجس، والرجز العذاب لا غير، والركس العذرة لا غير، والرجس يقال للأمرين [(٢)].

وقال الإمام القرطبي: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ يريد أبعدوه واجعلوه ناحية؛ فأمر الله تعالى باجتناب هذه الأمور، واقترنت بصيغة الأمر مع نصوص الأحاديث وإجماع الأمة، فحصل الاجتناب في جهة التحريم؛ فبهذا حرمت الخمر. ولا خلاف بين علماء المسلمين أن سورة «المائدة» نزلت بتحريم الخمر [(٣)].

والخمر باب واسع للشيطان يدخل منه فيفسد دين ودنيا الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:٩١].

---

(١) المفردات ١٨٨.

(٢) انظر المحرر الوجيز ٢/ ٢٧٢.

(٣) تفسير القرطبي ٦/ ٢٨٨.

قال الإمام الفخر: فرتب النهي عن شرب الخمر على كون الخمر مشتملة على تلك المفاسد، ومن المعلوم في بدائه العقول أن تلك المفاسد إنما تولدت من كونها مؤثرة في السكر، وهذا يفيد القطع بأن علة قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ هي كون الخمر مؤثرًا في الإسكار، وإذا ثبت هذا وجب القطع بأن كل مسكر حرام[١].

وقال الإمام القرطبي: أعلم الله تعالى عباده أن الشيطان إنما يريد أن يوقع العداوة والبغضاء بيننا بسبب الخمر وغيره؛ فحذرنا منها، ونهانا عنها...

قوله تعالى: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ يقول: إذا سكرتم لم تذكروا الله ولم تصلوا، وإن صليتم خلط عليكم.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ لما علم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن هذا وعيد شديد زائد على معنى انتهوا قال: انتهينا[٢].

«**وأمر النبي ﷺ مناديه أن ينادي في سكك المدينة، ألا إن الخمر قد حرمت**»؛ فكسرت الدنان، وأريقت الخمر حتى جرت في سكاك المدينة[٣].

وأخرج مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنْتُ سَاقِيَ القَوْمِ يَوْمَ حُرِّمَتِ الخَمْرُ فِي بَيْتِ أَبِي طَلْحَةَ وَمَا شَرَابُهُمْ إِلاَّ الفَضِيخُ البُسْرُ وَالتَّمْرُ. فَإِذَا مُنَادٍ يُنَادِي فَقَالَ: اخْرُجْ فَانْظُرْ؛ فَخَرَجْتُ فَإِذَا مُنَادٍ يُنَادِي: أَلاَ إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، قَالَ: فَجَرَتْ فِي سِكَكِ المَدِينَةِ فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ فَأَهْرِقْهَا[٤].

---

(١) الفخر ١٢/ ٤٢٥.

(٢) يشير بذلك إلى الحديث الذي أخرجه أبو داوود كتاب الأشربة/ باب تحريم الخمر ٣/ ٣٦٤ والحديث صححه الألباني.

(٣) القرطبي ٦/ ٢٩٣.

(٤) كتاب الأشربة/ باب تحريم الخمر ٦/ ٨٧ ح ٥٢٤٦.

والأدلة من السنة على تحريمها تصل إلى حد التواتر.

ويلتحق بالخمر كل أنواع المخدرات والمسكرات والمفترات، أخرج مسلم عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**»(١).

وللخمر وما يلتحق بها أضرار كثيرة جدًا على دنيا ودين وأخرة الفرد والمجتمع.

☜ أضرار الخمر على الفرد:

لقد ذم النبي ﷺ الخمر وبين خطورتها وسماها أم الفواحش وأم الخبائث. وهي كذلك.

أخرج الطبراني في الأوسط والكبير والدار قطني في سننه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله ﷺ قال: «**الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر، من شربها وقع على أمه وخالته وعمته**»(٢).

---

(١) كتاب الأشربة/ باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام ٥/ ١٠٠ ح ٥٣٣٧.

(٢) المعجم الأوسط من طريق ابن لهيعة نا أبو صخر عن عبد الكريم أبي أمية عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٢/ ٢٧٦ ح ٣١٣٤ وقال: لم يروه عن عطاء إلا عبد الكريم.
والمعجم الكبير من طريق رشدين بن سعد عن أبي صخر عن عبد الكريم أبي أمية عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (١١/ ١٦٤ ح١١٣٩٦، ١١/ ٢٠٣ ح ١١٥٢٢).
والدار قطني من طريق ابن لهيعة نا أبو صخر عن عبد الكريم أبي أمية عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٤/ ٢٤٧ ح ٣.
والحديث ذكره الهيثمي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعزاه للطبراني في الكبير والأوسط، وقال: وفيه عبد الكريم أبو أمية وهو ضعيف (مجمع الزوائد ٥/ ١٠٣ ح ٨١٧٢).
وللحديث شاهد ذكره الهيثمي عن عتاب بن عامر قال: كنت عند عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الحجر بمكة فسئل عن الخمر فقال: سألني رجل فقلت: هذا رسول الله ﷺ فاذهب فاسأله ثم ارجع إلي فأخبرني فسأله ثم رجع فأخبرني أنه سأله فقال: «هي أكبر الكبائر وأم الفواحش، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وخالته وعمته» رواه الطبراني. وعتاب لم أعرفه وابن =

وأخرج النسائي في سننه الكبرى أن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث إنه كان رجل ممن خلا قبلكم يتعبد فعلقته امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها فقالت له: أنا أدعوك للشهادة فانطلق مع جاريتها فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر فقالت: إني والله ما دعوتك للشهادة، ولكن دعوتك لتقع علي أو تشرب من هذه الخمرة كأسًا أو تقتل هذا الغلام. قال: فاسقيني من هذا الخمر كأسا. فسقته كأسًا فقال: زيدوني. فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا أوشك أن يخرج أحدهما صاحبه» (١).

وقد روي هذا الحديث مرفوعًا أخرجه البيهقي في الشعب وموقوفًا وقال: وهو

=

لهيعة حديثه حسن وفيه ضعف (٥/ ١٠٣ ح ٨١٧٤).

والحديث حسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (٥٦٦ح ٥٦٥٦) وقال في السلسلة الصحيحة: رواه الطبراني (رقم ١١٣٧٢ و١١٤٩٨) عن رشدين بن سعد عن أبي صخر عن عبد الكريم أبي أمية عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رفعه. ورواه في «الأوسط» (٣٢٨٥) عن ابن لهيعة عن عبد الكريم بن أبي أمية به.

قلت: وهذا إسناد ضعيف، عبد الكريم أبو أمية ورشدين بن سعد وابن لهيعة ثلاثتهم ضعفاء وأعله الهيثمي بالأول منهم فقط، فقال (٥/ ٦٧): «رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير»، وفيه عبد الكريم أبو أمية وهو ضعيف» ثم ذكر له الهيثمي شاهدا (٥/ ٦٨) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا به وزاد: «ترك الصلاة ووقع...»، وقال: «رواه الطبراني، وعتاب بن عامر لم أعرفه وابن لهيعة حديثه حسن وفيه ضعف». قلت: فالحديث حسن بمجموع الطريقين. والله أعلم ٤/ ٣٥٢.

(١) السنن الكبرى كتاب الأشربة/ ذكر الآثام المتولدة عن شرب الخمر من ترك الصلوات ومن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن وقوع على المحارم ٣/ ٢٢٨ ح ٥١٧٦، وقال الألباني: صحيح موقوف (صحيح وضعيف سنن النسائي ١٢/ ١٦٦ ح ٥٦٦٦).

المحفوظ [١]، وأخرجه مرفوعًا أيضًا ابن حبان في صحيحه [٢].

والحديث الموقوف هو الصحيح إسنادًا كما قال العلماء، إلا أن قول عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنه كان رجل ممن خلا قبلكم» يدل على أنه سمعه من النبي ﷺ؛ فهذا الكلام لا يقال برأي.

وجاء في حديث أخر تسمية الخمر بأم الخبائث، أخرج الدارقطني عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول قال رسول الله ﷺ: «**الخمر أم الخبائث، ومن شربها لم يقبل الله منه صلاة أربعين يومًا، فإن مات وهي في بطنه مات ميتة جاهلية**»[٣].

حقًّا إنها أم الفواحش وأم الخبائث وداعية لارتكاب كل الكبائر والموبقات، من شربها فقَد عقله لا يدري ما يفعل؛ يقتل يسرق يزني، حتى أنه قد يقع على محارمه، ومن كانت هذه حاله فلن يقبل الله منه صلاة أربعين يومًا، وإن مات وهو يشربها مصرًّا عليها مات ميتة جاهلية.

ومن مضارها أيضًا أن شاربها ينزع عنه لباس الإيمان، أخرج مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: «**لاَ يَزْنِى الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ**»[٤].

---

(١) شعب الإيمان ٥/ ١٠ ح ٥١٨٦ و٥١٨٧ .

(٢) كتاب الأشربة باب أداب الشرب ١٢/ ١٦٨ ح ٥٣٤٨ وقال شعيب الأرنئوط: إسناده ضعيف. وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب: منكر ٢/ ٥٨ ح ١٤١٥.

(٣) كتاب الأشربة وغيرها ٤/ ٢٤٧ ح١ وأخرجه الطبراني في الأوسط ٤/ ٨١ ح ٣٦٦٧ وقال الألباني: إسناده حسن (انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ٥٦٦ ح ٥٦٥٥).

(٤) كتاب الإيمان/ باب بَيَانِ نُقْصَانِ الإِيمَانِ بِالمَعَاصِي وَنَفْيِهِ عَنِ الْمُتَلَبِّسِ بِالمَعْصِيَةِ عَلَى إِرَادَةِ نَفْيِ كَمَالِهِ ١/ ٥٥ ح ٢١٧.

وأخرج أبو داوود عن أبي هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان كان عليه كالظلة، فإذا انقطع رجع إليه الإيمان**»(١).

ومن مضارها أنه تكون سببًا في حرمان العبد من الجنة إذا أدمنها أخرج ابن ماجة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة مدمن خمر**»(٢).

وهي سبب في حرمان شاربها من خمر الجنة، أخرج مسلم في صحيحه عَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ أَنْ يَتُوبَ**»(٣).

ومن مضارها أن شاربه يشرب عصارة أهل النار، أخرج مسلم عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ جَيْشَانَ - وَجَيْشَانُ مِنَ اليَمَنِ - فَسَأَلَ النَّبِي ﷺ عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنَ الذُّرَةِ يُقَالُ لَهُ المِزْر(٤) فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «**أَوَ مُسْكِرٌ هُوَ؟**» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ المُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الخَبَالِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَا طِينَةُ الخَبَالِ؟ قَالَ: «**عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ**» (٥).

ومن مضارها أنها ترفع حرمة شاربها إذا أعترف أو أقيمت عليه البينة فيقام عليه الحد؛ فيضرب بالنعال وبالجريد وبالسياط، وفي ذلك من الخزي والعار ما فيه.

---

(١) كتاب السنة/ باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ٤/ ٣٥٧ ح ٤٦٩٢ وقال الألباني: إسناده انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ٥٩ ح ٥٨٧.

(٢) كتاب الأشربة/ باب مدمن الخمر ٢/ ١١٢٠ ح ٣٣٧٦ وقال الألباني صحيح انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ١٣٦٤ ح ١٣٦٣١.

(٣) كتاب الأشربة/ باب عُقُوبَةِ مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ إِذَا لَمْ يَتُبْ مِنْهَا بِمَنْعِهِ إِيَّاهَا فِي الآخِرَةِ ٦/ ١٠١ح ٥٣٤٣.

(٤) شراب يتخذ من الذرة أو الشعير أو الحنطة.

(٥) كتاب الأشربة/ باب بَيَانِ أَنَّ كُلَّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَأَنَّ كُلَّ خَمْرٍ حَرَامٌ ٦/ ١٠٠ ح ٥٣٣٥.

أخرج مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ نَبِي الله ﷺ جَلَدَ فِي الخَمْرِ بِالجَرِيدِ وَالنِّعَالِ ثُمَّ جَلَدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ. فَلَمَّا كَانَ عُمَرُ وَدَنَا النَّاسُ مِنَ الرِّيفِ وَالقُرَى قَالَ: مَا تَرَوْنَ فِي جَلْدِ الخَمْرِ؟ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا كَأَخَفِّ الحُدُودِ. قَالَ فَجَلَدَ عمَرُ ثَمَانِينَ[1].

ومن مضارها أنها سبب في لعن شاربها، أخرج أبو داوود عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله -ﷺ: «**لعن الله الخمر وشاربها، وساقيها وبائعها ومبتاعها، وعاصرها ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه**»[2].

☜ أضرار الخمر الصحية:

للخمر أضرار صحية كثيرة وخطيرة؛ فهي تسبب العديد من الأمراض الفتاكة، جاء في كتاب «الخمر بين الفقه والطب» ذِكْر لبعض هذه الأمراض، ومنها على سبيل المثال:

١- ضمور خلايا المخ التي تتحكم في التفكير والإرادة.

٢- النوبات الدماغية.

٣- التليف الكبدي.

٤- الهلوسة.

٥- شلل الأطراف .

٦- إلتهاب البنكرياس.

٧- فقر الدم الخبيث.

---

(١) كتاب الحدود/ باب حد الخمر ٥/ ١٢٥ح ٤٥٥١.

(٢) كتاب الأشربة/ باب العنب يعصر للخمر ٣/ ٣٦٦ح ٣٦٧٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/ ٤٩٤ ح ٨٣٩.

٨- الجلطة الدماغية التي تؤدي إلى موت الفجأة.

٩- سرطان المعدة.

١٠ - وأمراض الجهاز العصبي والتناسلي[١].

☜ ضرر الخمور على المجتمع:

لا يقتصر ضرر الخمر والمسكرات والمخدرات على الفرد وإنما يتعداه إلى المجتمع؛ فهي سبب في الكثير من الخصومات والمشاجرات التي تفضي إلى القتل أحيانًا وتؤدي إلى وقوع العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:٩١].

☜ مضار الخمر على الاقتصاد:

ومن أضرارها على المجتمع أنها تضر باقتصاد البلاد التي ينتشر بين أفرادها شرب الخمر وتعاطي المخدرات والمسكرات والمفترات.

جاء في مجلة البحوث الإسلامية: أما مضارها الاقتصادية على البلاد فيتمثل في أمرين:

الأول: شل الحركة الإنتاجية لبعض أفراد المجتمع؛ فإنهم يقضون جل أوقاتهم في حالة غيبوبة لا تمكنهم من العمل، مع أن كثيرًا منهم يشغلون الأطباء من الدولة لمعالجتهم.

الثاني: تلك المبالغ الطائلة التي ينفقها هؤلاء التعساء في المسكرات والمخدرات فيما يؤثر على ثروة الدولة؛ لأنهم من هذا المجتمع وخصوصًا مع حالات التهريب التي تستهلك كثيرًا من العملة الصعبة التي تحتاج إليها البلاد[٢].

---

(١) كتاب الخمر بين الفقه والطب للدكتور/ محمد علي البار، دار السعودية للنشر والتوزيع الطبعة السادسة.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية ١/ ٣٦٨، العدد الأول - رجب سنة ١٣٩٥ هجرية.

الثالث: قلت: وتنفق الدول أموالًا كبيرة على علاج المرضى بسبب الخمر والمسكرات وعلى مكافحة إدمان الخمر والمخدرات.

إن الخمور حقًّا أم الفواحش وأم الخبائث، ومن تفكر في نتائجها تبين له حتمًا أنها تضر بالضرورات الخمس التي جاء الإسلام بحفظها؛ فهي تضر بالدين والنفس والعقل والعرض والمال.

☜ ثانيًا: الفواحش القولية:

كل ما اشتد قبحه من الكلام فهو فاحشة نهى عنه الله تعالى ويتنافى مع الإيمان، فالكذب والغيبة والنميمة والبهتان والزور والطعن في الأنساب واللعن والسباب من الفواحش.

أخرج الترمذي عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**»[1].

قال المناوي: «**ليس المؤمن بالطعان**» أي الوقاع في أعراض الناس بنحو ذم أو غيبة... «**ولا اللعان**» أي الذي يكثر لعن الناس بما يبعدهم من رحمة ربهم إما صريحًا كأن يقول: لعنة الله على فلان، أو كناية كـ: غضبه عليه أو أدخله النار، «**ولا الفاحش**» أي ذي الفحش في كلامه وفعاله.

قال ابن العربي: والفحش الكلام بما يكره سماعه مما يتعلق بالدين «**ولا البذي**» أي الفاحش في منطقه وإن كان الكلام صدقًا[2].

---

(١) كتاب البر والصلة - باب اللعنة ٤/ ٣٥٠ ح ١٩٧٧ وصححه الألباني انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ٩٥٢ ح ٩٥١٢.

(٢) فتح القدير ٥/ ٤٥٩.

ونهى النبي ﷺ عن السباب وذمه، أخرج مسلم عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(١).

وأخرج ابن أبي شيبة عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قَوْلُ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ: يَا خَبِيثُ، يَا فَاسِقُ، قَالَ: هُنَّ فَوَاحِشُ، وَفِيهِنَّ عُقُوبَةٌ، وَلاَ تَقُولُهُنَّ فَتَعَوَّدَهُنَّ»(٢).

وقد نهى النبي ﷺ السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن العدوان في الجواب حتى لوكان في مجازة اليهود على فحشهم، أخرج مسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَتَى النَّبِيَ ﷺ أُنَاسٌ مِنَ اليَهُودِ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا القَاسِمِ. قَالَ: «**وَعَلَيْكُمْ**». قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ، لاَ تَكُونِي فَاحِشَةً**». فَقَالَتْ: مَا سَمِعْتَ مَا قَالُوا؟ فَقَالَ: «**أَوَلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمُ الَّذِى قَالُوا؛ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ**» وفي رواية له أيضًا أن النبي ﷺ قال: «**مَهْ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ**»(٣).

وهكذا يبين لنا النبي ﷺ أن الله تعالى يبغض فاحش القول.

أخرج ابن حبان في صحيحه عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يبغض الفاحش المتفحش**»(٤)

الفاحش المجبول على الفحش الذي يتكلم بما يكره سماعه مما يتعلق بالدين، أو الذي يرسل لسانه بما لا ينبغي، وهو الجفاء في الأقوال والأفعال، والمتفحش

---

(١) كتاب الإيمان/ باب بَيَانِ قَوْلِ النَّبِي ﷺ: سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ ١/ ٥٧ح٢٣٠.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ١٠/ ١٣٢ ح ٢٩٥٦٧ والحديث حسنه الألباني انظر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ٨/ ٧٥.

(٣) كتاب السلام/ باب النَّهْيِ عَنِ ابْتِدَاءِ أَهْلِ الكِتَابِ بِالسَّلاَمِ وَكَيْفَ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ.٧/ ٤ ح ٥٧٨٦، ح ٥٧٨٧.

(٤) كتاب الحظر والإباحة/ ذكر بغض الله جل وعلا الفاحش المتفحش من الناس ٢/ ٥٠٦ ح ٥٦٩٤.

المتعاطي لذلك[١].

وفاحش القول لا يأمن الناس لسانه؛ فهو دائمًا ما يقع فيهم وبفتري عليهم، وهو من شر الناس منزلة عند الله تعالى.

أخرج مسلم عن عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِي ﷺ فَقَالَ: «**ائْذَنُوا لَهُ فَلَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ أَوْ بِئْسَ رَجُلُ العَشِيرَةِ**». فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَلاَنَ لَهُ القَوْلَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، قُلْتَ لَهُ الَّذِى قُلْتَ ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ القَوْلَ، قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ وَدَعَهُ، أَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ**»[٢].

ولقد نهي الله تعالى عن الفحش في المنطق وبيّن أثاره السيئة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات: ١١-١٢].

فالله عز وجل سمى الفاحش في القول فاسقًا وظالمًا، وبين أن فحشه يورث العداء والكراهية؛ مما يؤدي إلى قطع الصلات بين الناس.

والكلمة الفاحشة سبب في دخول العبد النار أخرج الترمذي عن معاذ بن جبل: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ**». ثُمَّ قَالَ: «**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ**». قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِي الله، قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**». فَقُلْتُ: يَا نَبِي الله، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى**

(١) فتح القدير ٢/ ٣٦١.

(٢) كتاب البر والصلة/ باب مُدَارَاةِ مَنْ يُتَّقَى فُحْشُهُ ٨/ ٢١ح ٦٧٦١.

مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[١].

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي ﷺ قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالًا يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم**»[٢].

قال ابن حجر: الكلمة التي يهوى صاحبها بسببها في النار هي التي يقولها عند السلطان الجائر، وزاد ابن بطال بالبغي أو بالسعي على المسلم فتكون سببا لهلاكه، وإن لم يرد القائل ذلك، لكنها ربما أدت إلى ذلك فيكتب على القائل إثمها، والكلمة التي ترفع بها الدرجات ويكتب بها الرضوان هي التي يدفع بها عن المسلم مظلمة، أو يفرج بها عنه كربة، أو ينصر بها مظلوما.

وقال غيره في الأولى: هي الكلمة عند ذي السلطان يرضيه بها فيما يسخط الله. وقيل: هذا هو الغالب وربما كانت عند غير ذي السلطان ممن يتأتى منه ذلك. وقيل: أن المراد بها التلفظ بالسوء والفحش ما لم يرد بذلك الجحد لأمر الله في الدين.

وقال القاضي عياض: يحتمل أن تكون تلك الكلمة من الخنى والرفث، وأن تكون في التعريض بالمسلم بكبيرة أو بمجون أو استخفاف بحق النبوة والشريعة وإن لم يعتقد ذلك.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: هي الكلمة التي لا يعرف القائل حسنها من قبحها، قال: فيحرم على الإنسان أن يتكلم بما لا يعرف حسنه من قبحه[٣]. فينبغي

---

(١) كتاب الإيمان/ باب ما جاء في حرمة الصلاة ٥/ ١١ح ٢٦١٦ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. والحديث صححه الألباني انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته – ٩٢٧ ح ٩٢٦٧.

(٢) كتاب الرقاق/ باب حفظ اللسان ٥/ ٢٣٧٧ ح ٦١١٣.

(٣) انظر فتح الباري ١١/ ٣١١.

على المرء أن يتفكر فيما يقول، ويرى أين يقع كلامه، فإن كان في الحق والخير تكلم وإلا أمسك.

إن الكلمة الفاحشة قد تؤدي إلى ضياع الدين والدنيا، وقد تؤدي إلى تفكك أسر، وقد ينتج عنها القتل أو ضياع حقوق وقد تؤدي إلى الخصام وتوارث العداء وغير ذلك من أضرار الكلمة الخبيثة التي يقولها من يقولها فتبلغ الآفاق، ولا يستطيع ردها ولا منع أضرارها.

☜ ثالثًا: الفواحش القلبية:

نهى الله تعالى عن الفواحش الظاهرة والباطنة وحرمها قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام:١٥١]، وقال عز شأنه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف:٣٣] والفواحش الباطنة هي ما انطوى عليه القلب من مخالفة لله تعالى؛ وذلك لأن ما في القلب لا يعلمه إلا الله تعالى.

فما اشتد قبحه مما انطوى عليه القلب كالعجب والكبر والرياء والنفاق وإيثار غير شرع الله والتهاون في حقوق الله تعالى والمحبة الزائدة للدنيا والشهوات وحب الرياسة وحب الظهور، والحقد والحسد وغير ذلك من الفواحش. وهذه الأمور مفسدة للقلب والعمل والجوارح ومحبطة للأجر.

أنواع الفواحش القلبية

ومن أمثلة الفواحش القلبية ما يلي :-

أولاً: الرياء:

قال الإمام الغزالي: اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية، والسمعة مشتقة من السماع، وإنما الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بإيرائهم خصال الخير، إلا أن الجاه والمنزلة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات، وتطلب بالعبادات، واسم الرياء

مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادة وإظهارها، فحد الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله، فالمرائي هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة في قلوبهم، والمرائى به هو الخصال التي قصد المرائي إظهارها والرياء هو قصده إظهار ذلك[١].

والرياء شرك في الإرادات والنيات، وقد نهي الله تعالى عنه قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

قال الإمام ابن كثير: أي: ثوابه وجزاءه الصالح، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾، ما كان موافقًا لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل. لا بد أن يكون خالصًا لله، صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ[٢].

فمن أراد بعمله المكانة والمنزلة عند الناس فقد أشرك بالله تعالى في نيته وقصده، والله عز وجل أمر بإخلاص العبادة لوجهه تعالى قال عز وجل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥]، وقال تعالى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر:١٤].

قال الإمام ابن كثير: أي: فأخلصوا لله وحده العبادة والدعاء[٣].

ولقد كان النبي ﷺ يخاف على الأمة ويحذرهم منه.

أخرج ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذكر المسيح الدجال. فقال: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**» قال: قلنا: بلى، فقال: «**الشرك الخفي؛ أن يقوم الرجل يصلي فيزين**

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٢٩٧.
(٢) تفسير ابن كثير ٥/ ٢٠٥.
(٣) تفسير ابن كثير ٧/ ١٣٤.

صلاته لما يرى من نظر رجل»[١].

ولهذا المرض القلبي أضرار منها:

١ - أنه محبط للعمل ومضيع للأجر قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾ [البقرة:٢٦٤].

قال الإمام ابن كثير: ضرب تعالى مثل ذلك المرائي بإنفاقه والذي يتبع نفقته منًّا أو أذًى فقال: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ﴾ وهو الصخر الأملس ﴿عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ﴾ وهو المطر الشديد ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ﴾ أي: فترك الوابل ذلك الصفوان صلدًا، أي: أملس يابسًا، أي: لا شيء عليه من ذلك التراب، بل قد ذهب كله، أي: وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله، وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب[٢].

إن الله تعالى لا يقبل ولا ينفع عنده من العمل إلا ما كان صوابًا خالصًا لوجهه تعالى، ومن قصد بعمله الله والناس فالله من هذا العمل بريء يتركه كله للشركاء.

أخرج مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[٣].

وأخرج ابن ماجة عن أبي سعد بن أبي فضالة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في**

---

(١) كتاب الزهد/ باب الرياء والسمعة ٢/ ١٤٠٦ ح ٤٢٠٤، وقال الألباني: إسناده .حسن انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ٤٣٨ ح ٤٣٧٢.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١/ ٦٩٤ باختصار.

(٣) كتاب الزهد والرقاق/ باب مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ الله ٨/ ٢٢٣ح ٧٦٦٦.

عمل له لله فليطلب ثوابه من عند غير الله؛ فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك»[١].

٢ - يؤدي إلى الفضيحة في الدنيا والآخرة ومسلم وللفظ له: عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ الله بِهِ، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى الله بِهِ**»[٢].

قال ابن بطال: معناه من سمع بعمله الناس وقصد به اتخاذ الجاه والمنزلة عندهم، ولم يرد به وجه الله، فإن الله تعالى يسمع به خلقه، أي يجعله حديثًا عند الناس الذى أراد نيل المنزلة عندهم بعمله، ولا ثواب له في الآخرة عليه، وكذلك من راءى بعمله الناس راءى الله به، أي أطلعهم على أنه فعل ذلك لهم ولم يفعله لوجهه[٣].

يؤدي إلى دخول النار أخرج مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ القُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ الله عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى**

---

(١) كتاب الزهد/ باب الرياء والسمعة ٢/ ١٤٠٦ح ٤٢٠٣، والحديث حسنه الألباني، انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ٤٩ ح ٤٨٣.

(٢) كتاب الزهد والرقاق/ باب مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ الله ٨/ ٢٢٣ ح ٧٦٦٧، وأخرجه البخاري من حديث جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتاب الرقاق/ باب الرياء والسمعة ٥/ ٢٣٨٣ح ٦١٣٤.

(٣) شرح ابن بطال على صحيح البخاري ١٠/ ٢٠٨.

وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[١]. إن الرياء خطره عظيم وهو من مداخل الشيطان فليحرص المرء على دينه وليعرف ربه ويعتصم به حتى يستطيع أن ينجو منه.

☜ ثانيا: الحقد:

قال ابن منظور: الحِقْدُ إمساك العداوة في القلب والتربص لِفُرْصَتِها[٢].

والحقد يؤدي إلى الفرقة وهذا يتنافى مع الإسلام؛ فلقد جاء النبي ﷺ ودعا المؤمنين أن يكونوا أخوة متحابين مجتمعين متراحمين كأنهم جسد واحد أخرج الإمام مسلم عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**»[٣].

ونهى النبي ﷺ عن كل أمر يعكر صفوة هذه المودة، أخرج الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا** -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ- **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»[٤].

فلا ينبغي أن يكون بين المؤمن وأخيه المؤمن عداء وقطيعة.

إن المؤمنين يضرعون إلى ربهم يسألونه سلامة قلوبهم من الغل قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

---

(١) كتاب الإمارة/ باب مَنَ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ ٦/ ٤٧ ح ٥٠٣٢.

(٢) لسان العرب ٣/ ١٥٤.

(٣) كتاب البر والصلة/ باب تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ ٨/ ٢٠ح ٦٧٥١.

(٤) كتاب البر والصلة/ باب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ ٨/ ١٠ ح٦٧٠٦.

وسلامة القلب من الحقد وما ينشأ عنه يدل على فضل صاحبه.

أخرج ابن ماجة عن عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَال: قِيلَ لِرَسُولِ الله ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**كُلُّ مَخْمُومِ القَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ**»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ القَلْبِ؟ قَالَ: «**هُوَ التَّقِيُّ النَّقِي لاَ إِثْمَ فِيهِ وَلاَ بَغْيَ وَلاَ غِلَّ وَلاَ حَسَدَ**»(١).

☜ وللحقد أضرار كبيرة تعود على الفرد والمجتمع :

أولًا: أضراره على الفرد

من أضراره على الفرد ما يلي:

١ - أنه يتنافى مع الإيمان فيؤدي إلى الحرمان من دخول الجنة.

أخرج مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لاَ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ**»(٢).

٢ - سبب في عدم المغفرة أخرج مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله -ﷺ- قَالَ: «**تُفْتَحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا إِلاَّ رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا**»(٣).

٣- يزيل عن العبد الدين أخرج الترمذي عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) كتاب الزهد/ باب الورع والتقوى ٢/ ١٤٠٩ ح ٤٢١٦، والحديث صححه الألباني. انظر صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٦٢ ح ٢٨٨٩.

(٢) كتاب الإيمان/ باب بَيَانِ أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلاَّ المُؤْمِنُونَ وَأَنَّ مَحَبَّةَ المُؤْمِنِينَ مِنَ الإِيمَانِ وَأَنَّ إِفْشَاءَ السَّلاَمِ سَبَبٌ لِحُصُولِه ١/ ٥٣ ح٢٠٣.

(٣) كتاب البر والصلة/ باب النَّهْيِ عَنِ الشَّحْنَاءِ وَالتَّهَاجُرِ ٨/ ١١ح٦٧٠٩.

«ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة».

قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح، ويروى عن النبي ﷺ: **«هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين»**[١].

وما علقه الترمذي وصله في حديث آخر عن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«دب إليكم داء الأمم الحسد والبغضاء هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يثبت ذاكم لكم؟ أفشوا السلام بينكم»**[٢].

ثانيًا: أضراره على المجتمع:

ومن أضراره على المجتمع ما يلي:-

الحقد يتولد عنه المهلكات والمضار التي تضعف المجتمع وتفككه كالحسد والخصام والتدابر والغيبة والتحقير والسخرية والإيذاء والعداء والظلم وغير ذلك من الآفات التي تنتج عن الحقد ولن يقوم مجتمع هذه صفاته.

وبالجملة أقول: إن طهارة القلب وصلاحه صلاح لدين العبد واستقامة لدنياه ونجاة له في أخراه، وفساده فساد لكل ذلك.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ**

---

(١) كتاب صفة القيامة/ باب ٥٦ (٤/ ٦٦٣ح ٢٥٠٩)، والحديث صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ح٢٥٠٩.

(٢) كتاب صفة القيامة/ باب ٥٦ (٤/ ٦٦٣ح ٢٥١٠) والحديث حسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ح ٢٥١٠.

النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»(١).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي هذا الحديث التأكيد على السعي في صلاح القلب وحمايته من الفساد(٢).

وذلك لأن الله تعالى ينظر إلى القلوب والأعمال فإن سلمت القلوب وصحت الأعمال كان العبد من المتقين المفلحين وإن كانت الأخرى كان العبد من الهالكين.

أخرج مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الله لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ**»(٣).

فإن كان القلب سليمًا ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم انتفع العبد بأعماله قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩] قال الإمام ابن القيم: القلب السليم هو الذى سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة، فسلم من كل آفة تبعده من الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطعه عن الله؛ فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا وفي جنة في البرزخ وفي جنة يوم المعاد.

---

(١) كتاب المساقاة/ باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٥/ ٥٠ ح ٤١٧٨.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١١/ ٢٩.

(٣) كتاب البر والصلة/ باب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ ٨/ ١١ ح ٦٧٠٨.

ولا يتم له سلامته مطلقًا حتى يسلم من خمسة أشياء.

من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهو يناقض التجريد والإخلاص. وهذه الخمسة حجب عن الله وتحت كل واحد منها أنواع كثيرة[١].

النهي الثاني «المُنكَرِ»:

قال ابن فارس: (نكر) النون والكاف والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على خلاف المعرفة التي يَسكُن إليها القَلب. ونَكِرَ الشَّيءَ وأنكَره: لم يَقْبَلْه قلبُه ولم يعترِفْ به لسانُه. قال:

وأنكرَتْنِي ومـا كـانَ الَّـذِي نكِـرَتْ ** مِـنَ الحـوادثِ إلاَّ الـشَّيبَ والـصَّلَعا[٢]

والباب كلُّه راجعٌ إلى هذا. فالنُّكْر: الدَّهْي.

والنَّكْراء: الأمر الصعب الشَّديد. ونَكُرَ الأمرُ نَكَارةً.

والإنكار: خِلاف الاعتراف. والتنكُّر: التَّنقُّل من حالٍ تَسُرّ إلى أخرى تُكْرَه[٣].

وقال الراغب: نكر: الإنكار ضد العرفان، يقال أنكرت كذا ونكرت، وأصله أن يرد على القلب مالا يتصوره وذلك ضرب من الجهل، قال: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ [هود:٧٠]، ﴿فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف:٥٨]، وقد يستعمل ذلك فيما ينكر باللسان وسبب الإنكار باللسان هو الإنكار بالقلب لكن ربما ينكر اللسان الشيء وصورته في القلب حاصلة ويكون في ذلك كاذبًا. وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل:٨٣].

---

(١) الجواب الكافي ١٦٦.

(٢) ديوان الأعشى ١٠٠.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٥/ ٤٧٦.

والمنكر: كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول فتحكم بقبحه الشريعة، وإلى ذلك قصد بقوله: ﴿ٱلْآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة:١١٢][1].

وذكر المفسرون في معنى ﴿ٱلْمُنكَرِ﴾ هنا أقوالًا منها:-

الأول: كل ما أنكر الشرع بالنهي عنه فيعم جميع الرذائل والدناءات على اختلاف أنواعها.

الثاني: المنكر: هو ما لا يعرف في شريعة ولا سنة.

الثالث: وقيل:هو الشرك والكفر، وهو ما تكرهه النفوس الزاكية السليمة ولا ترتضيه.

الرابع: المنكر ما وعد عليه بالنار.

الخامس: ما لا يوجب حدًّا في الدنيا، ولكن يوجب العذاب في الأخرة. وعلى هذا القول تكون الفحشاء ما يوجب حدًا في الدنيا.

السادس: ما يتظاهر به من المعاصي فينكر ولهذا قال في موضع آخر: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف:٣٣].

وعلى هذا القول تكون الفحشاء ما يستسر به من المعاصي.

السابع: المنكر مخالفة السريرة العلانية قاله سفيان بن عيينة.

الثامن: المنكر:هو التكبر على عباد الله[2].

---

(١) المفردات ٥٠٥.

(٢) انظر جميع الأقوال في بحر العلوم ٢/ ٢٨٧، زاد المسير ٤/ ٤٨٤، ابن كثير ٤/ ٥٩٦، الخازن ٤/ ١١٠، النكت والعيون ٣/ ٢٠٩ القرطبي ١٠/ ١٦٧، روح المعاني ١٤/ ٢١٨،والبحر المديد ٤/ ٧٤، روح البيان ٥/ ٥٥، فتح القدير ٤/ ٢٥٥ من جميعها بتصرف كبير.

التاسع: المنكر هو ما ينتج عن القوة البشرية الثانية التي تحتاج إلى تهذيب وهي القوة الغضبية السبعية.

قال الإمام الفخر: وأما القوة الغضبية السبعية فهي: أبدًا تسعى في إيصال الشر والبلاء والإيذاء إلى سائر الناس، ولا شك أن الناس ينكرون تلك الحالة، فالمنكر عبارة عن الإفراط الحاصل في آثار القوة الغضبية[١].

وقال الإمام ابن عجيبة: والمنكر ما ينكر على متعاطيه من إيثار القوة الغضبية[٢].

والراجح من هذه الأقوال الأول؛ وهو أن المنكر كل ما أنكر الشرع بالنهي عنه فيعم جميع الأقوال والأفعال المحرمة والرذائل والدناءات، وما ذكره المفسرون من أقوال إنما هو من باب التمثيل.

قال الشيخ الطاهر ابن عاشور: وأما المنكر فهو ما تستنكره النفوس المعتدلة وتكرهه الشريعة من فعل أو قول، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة:٢] وقال تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت:٢٩].

والاستنكار مراتب، منها مرتبة الحرام، ومنها مرتبة المكروه فإنه منهيّ عنه. وشمل المنكر كل ما يفضي إلى الإخلال بالمناسب الحاجي، وكذلك ما يعطّل المناسب التحسيني بدون ما يفضي منه إلى ضرّ[٣].

فالفحشاء خاص بما أشتد نكره من المعاصي، والمنكر عام في كل المعاصي والرذائل سواء أشتد قبحه أم لا، وسواء تعدى ضرره إلى الغير أم لا، وسواء كان محرمًا في الشريعة أو مكروهًا؛ وبهذا يكون عطف المنكر على الفحشاء من باب عطف العام على الخاص.

---

(١) الفخر ٢٠/ ٢٦٣.

(٢) الحر المديد ٤/ ٧٣، وانظر البيضاوي ٤١٦، وأبي السعود ٥/ ١٣٦.

(٣) التحرير والتنوير ١٤/ ٢٥٧.

أضرار المنكرات:

إن للمنكرات بجميع أنواعها وشتى صورها أضرار كثيرة ومخاطر جسيمة وعواقب وخيمة تعود على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة.

فهي تبعد العبد عن ربه وتوجب سخطه عز وجل وما من بلاء ولا هم ولا حزن ولا مصيبة تصيب الإنسان في نفسه أو ماله أوفي أي شيء يحبه إلا بما كسبت يداه وتلك سنة الله في خلقه.

ولقد أخبر الله تعالى آدم وذريته بطريق النجاة والسعادة والراحة وبطريق العناء والشقاء، قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه:١٢٣-١٢٧].

وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأعراف:٣٥-٣٦].

فالله تعالى نفي الضلال والشقاء والخوف والحزن عمن آمن وعمل بشرعه تعالى، وحكم بالمعيشة الضنك وبالضلال والشقاء والهم والحزن والعذاب الأليم لمن تنكب صراطه المستقيم.

إن الله تعالى يجازي العباد بأعمالهم فمن أحسن فله من الله الحسنى وزيادة، ومن أساء فجزاء سيئة سيئة مثلها وما ربك بظلام للعبيد.

قال تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣] وهذه الآية عندما نزلت أصابت قلوب المؤمنين فخافوا خوفًا شديدًا وحزنوا حزنًا

عظيمًا، وانطلقوا إلى رسول الله ﷺ ليخبروه بخوفهم ويشكون إليه ما ألمّ بقلوبهم من جراء هذه الآية. أخرج الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ بَلَغَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَبْلَغًا شَدِيدًا فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قَارِبُوا وَسَدِّدُوا؛ فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ؛ حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا أَوِ الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا**»(١).

وهذا من رحمة الله بعباده المؤمنين إن جعل كل مكروه يصيبهم كفارة لما ارتكبوه من مخالفة أمره تعالى، وما يعفو الله عنه أكثر مما يؤاخذ به. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]، فمصائب الدنيا وآفاتها من العذاب الأدنى ليرجع العباد إلى صراط الله المستقيم، قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١] قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يعني بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها، وما يحل بأهلها مما يبتلي الله به عباده ليتوبوا إليه(٢).

وهذا العذاب بما كسبت أيدي الناس له أشكال متعددة وصور كثيرة. منها ما يلي:-

١ - المعاصي تغير النعم:

من أضرار المعاصي المعجلة في الدنيا قلة الأرزاق ومحق بركتها وتبدل النعم وزوالها؛ فما زالت نعمة ولا محقت بركة إلا بذنوب البشر قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنفال:٥٣-٥٤].

---

(١) كتاب البر والصلة والأدب/ باب ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ أَوْ حُزْنٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا ٨/ ١٦ ح ٦٧٣٤.

(٢) ٦/ ٣٦٩.

قال الإمام ابن كثير: يخبر تعالى عن تمام عدله، وقسطه في حكمه، بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]، وقوله ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: كصنعه بآل فرعون وأمثالهم حين كذبوا بآياته، أهلكهم بسبب ذنوبهم، وسلبهم تلك النعم التي أسداها إليهم من جنات وعيون، وزروع وكنوز ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، وما ظلمهم الله في ذلك، بل كانوا هم الظالمين(١).

وقد قص الله تعالى في كتابه علينا القصص، وضرب لنا الأمثال بأقوام غابرين خالفوا أمره وتنكبوا طريقه المستقيم، فأزال عنهم النعم وأنزل بهم النقم ليكونوا عظة وعبرة للأمم والأجيال بعدهم.

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢] فتلك القرية التي ضرب الله تعالى بها المثل لما لجوا في كفرهم، واستمروا في عنادهم، ورفضوا منهج ربهم كانت النتيجة أن سلبهم الله نعمهم وحل بهم انتقامه؛ فأذاقهم لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون.

وقص علينا قصة أهل سبأ فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ:١٥-١٧].

وينبغي أن ننبه على أمر وهو: يجب ألا يغتر المؤمن بما يرى من تمتع بعض الكفار وتقلبهم في نعم الله تعالى وهم مقيمون على كفرهم به تعالى قال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٧٨.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران:١٩٦-١٩٧]؛ ذلك لأن الله عجل لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا استدراجًا لهم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام:٤٤-٤٥].

٢ - المعاصي سبب الهلاك:

ما أصاب قومًا بلاء أو وباء أو زلازل أو محن أو فتن إلا بذنوبهم وما الله بظلام للعبيد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]؛ ولهذا ينبغي للعبد إذا نزل به مكروه أن يرجع أولًا إلى الله تعالى ويصلح ما بينه وبينه؛ فالله هو الذي بيده الضر وبيده النفع، إن شاء أمسك وإن شاء أطلق.

ولقد قص سبحانه وتعالى علينا فصص السابقين الذين أهلكهم بكفرهم وعصيانهم، وأنزل بهم بأسه وأليم عقابه في الدنيا قبل الأخرة وجعل منهم عبرًا وأمثالًا للمعتبرين قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾﴾ [الطلاق:٨-١٠].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام:٦].

فالله عز وجل يؤكد لنا أنه أهلكهم وعذبهم في الدنيا بسبب ذنوبهم وإعراضهم عن منهجه تعالى.

ولقد تعددت الأقوام وتنوعت معاصيهم، فتنوع العذاب الذي أخذهم الله تعالى به قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ

وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت:٣٨-٤٠].

قال الإمام ابن كثير: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾، وهم عاد، وذلك أنهم قالوا: مَنْ أشدُّ منا قوة؟ فجاءتهم ريح صرصر باردة شديدة البرد، عاتية شديدة الهبوب جدا، تحمل عليهم حصباء الأرض فتقلبها عليهم، وتقتلعهم من الأرض فترفع الرجل منهم إلى عَنَان السماء، ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى بدنًا بلا رأس، كأنهم أعجاز نخل منقعر﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾، وهم ثمود، قامت عليهم الحجة وظهرت لهم الدلالة، من تلك الناقة التي انفلقت عنها الصخرة، مثل ما سألوا سواء بسواء، ومع هذا ما آمنوا بل استمروا على طغيانهم وكفرهم، وتهددوا نبي الله صالحا ومَنْ آمن معه، وتوعَّدوهُم بأن يخرجوهم ويرجموهم، فجاءتهم صيحة أخمدت الأصوات منهم والحركات. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾، وهو قارون الذي طغى وبغى وعتا، وعصى الرب الأعلى، ومشى في الأرض مرحًا، وفرح ومرح وتاه بنفسه، واعتقد أنه أفضل من غيره، واختال في مشيته، فخسف الله به وبداره الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ﴾، وهم فرعون ووزيره هامان، وجنوده عن آخرهم، أغرقوا في صبيحة واحدة، فلم ينج منهم مخبر[1].

فليحذر أهل السوء والمنكرات أن يحل بهم مثل ما حل بالسابقين من المكذبين من الأمم الغابرة والقرون الخالية من غضب الله وأليم عقابه وشدة بأسه، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٧٨.

وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل:٤٥-٤٧].

وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأعراف:٩٧-١٠٠].

لقد اقتضت سنة الله تعالى أن السوء والعصيان إذا ظهر في أمة من الأمم أذن الله بخرابها، أخرج الطبراني في الأوسط عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا ظهر السوء في الأرض أنزل الله بأسه بأهل الأرض**» قلت: يا رسول الله، وإن كان فيهم صالحون؟ قال: «**نعم، وإن كان فيهم صالحون يصيبهم ما أصاب الناس ثم يرجعون لرحمة الله**»(١).

وأخرج مسلم عن زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِي ﷺ قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا فَزِعًا مُحْمَرًّا وَجْهُهُ يَقُولُ: «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**». وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا. قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ**»(٢).

إن ظهور السوء والفساد وكثرة المعاصي سبب في أن ينزل الله بأسه بالناس وسبب في هلاكهم.

---

(١) المعجم الأوسط ٢/ ٣١٧ ح ٢٠٨٩، والحديث صححه الألباني انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ٦٩ ح٦٨٢.

(٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب اقْتِرَابِ الفِتَنِ وَفَتْحِ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ٨/ ١٦٦ ح ٧٤١٨.

٣ - المعاصي سبب الفساد في الأرض:

ما من فساد يحدث في الكون إلا بسبب فعل المنكرات وميل الناس عن شرع الله تعالى، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١].

وهذا الفساد يكون كما قال العلماء: بالجدب والموت والحرق والغرق ومحق البركات وقلة الأمطار والثمار وكثرة الأمراض والآفات والمحن والفتن(١).

ومن الفساد أيضًا فساد القلوب والطباع وتغيرها وانتشار الحقد والعداء والغش والخداع والعقوق والاختلاف والتفرق والضعف.

ومن الفساد أيضًا تلوث الهواء والماء والتراب فينتج عن ذلك أنواعًا لا حصر لها من الفساد.

يقول أبو العالية: من عصى الله في الأرض فقد أفسد فيها(٢).

ولقد نهى الله تعالى عن الإفساد في الأرض بالمعاصي فقال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

قال الإمام الخازن: يعني ولا تفسدوا أيها الناس في الأرض بالمعاصي والكفر والدعاء إلى غير طاعة الله، بعد إصلاح الله إياها ببعثة الرسل وبيان الشرائع والدعاء إلى طاعة الله تعالى(٣).

إن شؤم العصيان يعود على الكون ومن فيه؛ ولهذا موت أهل المعاصي راحة للخلق.

---

(١) انظر تفسير أبي السعود ٧/ ٦٢، الخازن ٥/ ٢١٠، تفسير السعدي ٦٤٣ بتصرف كبير منها.

(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٣٢٠.

(٣) تفسير الخازن ٢/ ٢٤١.

أخرج الإمام مسلم عَنْ أَبِى قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله -ﷺ- مُرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ فَقَالَ: «**مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ**». قَالُوا يَا رَسُولَ الله: مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ فَقَالَ: «**العَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا، وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ وَالبِلاَدُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ**»(١).

ولهذا قيل: من أذنب ذنبًا يكون جميع الخلائق من الإنس والدواب والوحوش والطيور والذر خصماءه يوم القيامة؛ لأنه تعالى يمنع المطر بشؤم المعصية فيتضرر بذلك أهل البر والبحر جميعًا(٢).

إن صلاح الكون واستقامته مرهون بطاعة الله تعالى والتمسك بشرعه تعالى، فإذا عصى الناس ربهم وخالفوا شرعه فالنتيجة الحتمية وقوع الخلل والفساد في الكون، وتلك سنة من سنن الله تعالى في خلقه.

٣ - المعاصي سبب الذل والصغار والمهانة:

العبد المؤمن التقي منزلته عالية عند الله تعالى. يكلؤه الله بعزته ويحوطه بعنايته ويرعاه برعايته، ويكون في معيته؛ فتلقاه عزيزًا مهيبًا قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

وأما صاحب المنكرات فإن منزلته تسقط عند الله تعالى؛ فيسقط الله قدره في قلوب الخلق ونفوسهم فتلقاه ذليلًا مهينًا لا كرامة له ولا مكانة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج:١٨].

ولقد كتب الله تعالى الذل والصغار على من خالف أمره وتعدى حدوده قال تعالى: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام:١٢٤].

---

(١) كتاب الجنائز/ باب مَا جَاءَ فِي «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ» ٢/ ٥٤ ح ٢٢٤٥.
(٢) روح المعاني ٢١/ ٤٨.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا وعيد شديد من الله وتهديد أكيد، لمن تكبر عن اتباع رسله والانقياد لهم فيما جاؤوا به، فإنه سيصيبه يوم القيامة بين يدي الله ﴿صَغَارٌ﴾ وهو الذلة الدائمة، لما أنهم استكبروا أعقبهم ذلك ذُلا[1].

لقد توعد الله تعالى أولئك المكذبين المتكبرين بالعقاب والعقاب كما قال الإمام الفخر يحصل بأمرين: الإهانة والضرر، والله تعالى توعدهم بمجموع هذين الأمرين، في هذه الآية، أما الإهانة فقوله: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، وإنما قدم ذكر الصغار على ذكر الضرر، لأن القوم إنما تمردوا عن طاعة محمد عليه الصلاة والسلام طلبًا للعز والكرامة، فالله تعالى بين أنه يقابلهم بضد مطلوبهم، فأول ما يوصل إليهم إنما يوصل الصغار والذل والهوان، وفي قوله: ﴿صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ وجوه: الأول: أن يكون المراد أن هذا الصغار إنما يحصل في الآخرة، حيث لا حاكم ينفذ حكمه سواه. والثاني: أنهم يصيبهم صغار بحكم الله وإيجابه في دار الدنيا، فلما كان ذلك الصغار هذا حاله، جاز أن يضاف إلى ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾[2].

إن الذلة والعذاب اللذين توعدهم الله بهما يحصلان في الدنيا وفي الأخرة ففي الدنيا يكون بالقتل والخوف والضعف وسلب السيادة وتسليط المؤمنين عليهم. وفي الآخرة العذاب الشديد العذاب المهين، فالعذاب مع شدته في إهانة لهم ومعه توبيخ من الملائكة لأولئك المتكبرين الضالين.

إن الإيمان والعمل الصالح كالظلة للعبد إذا دخل العبد تحتهما كان في عز وكرامة وإذا خرج من تحتهما فإنه ينتقل إلى الذلة والمهانة، كما كان بنو إسرائيل في إيمان وطاعة كانوا في عز وطاعة، فلما عصوا رسل الله ألبسهم الله ثوب الذل والهوان قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٣٤

(٢) انظر تفسير الفخر الرازي ١٣/ ١٣٧

﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة:٦١].

وقال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران:١١٢].

قال الإمام ابن كثير: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ أي: وضعت عليهم وألزموا بها شَرْعًا وقدرًا، أي: لا يزالون مستذلين، من وجدهم استذلهم وأهانهم، وضرب عليهم الصغار، وهم مع ذلك في أنفسهم أذلاء متمسكنون(١).

وقال الزمخشري: جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه، أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه، فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة ومدقعة إما على الحقيقة وإما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية(٢).

ومهما يظهر لهم من عز وقوة إلا أنهم على الحقيقة أذلاء ضعفاء متمسكنون قال الإمام ابن القيم: أن ما يصيب الكافر والفاجر والمنافق من العز والنصر والجاه دون ما يحصل للمؤمنين بكثير، بل باطن ذلك ذل وكسر وهوان وإن كان في الظاهر بخلافه.

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنهم وإن هملجت بهم البراذين وطقطقت بهم البغال إن ذل المعصية لفي قلوبهم أبى الله إلا أن يذل من عصاه(٣).

ومن الذلة المضروبة عليهم الخوف الدائم الملازم لقلوبهم الخوف من الموت

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٢٨٢.

(٢) الكشاف ١/ ١٧٤ وانظر تفسير أبي السعود ١/ ١٠٧.

(٣) إغاثة اللفان من مصائد الشيطان ٢/ ١٨٨، دار المعرفة - بيروت - الطبعة الثانية، ١٣٩٥ - ١٩٧٥ تحقيق: محمد حامد الفقي.

والقتل والأحداث وخوفهم من المؤمنين وحرصهم على الحياة وعدم اطمئنانهم إلى القدر، فأكسبهم ذلك ضعفًا وجبنًا.

أما المؤمن فإنه يوقن أن الأمور بقدر الله وأن قدر الله كله خير، وأنه لا يكون في كون الله إلا ما أراد الله؛ فأكسبهم ذلكم الإيمان قوة وثباتاً وسكينة في قلوبهم؛ فسكنت واطمأنت نفوسهم.

إن الله عز وجل جعل العز قرين الإيمان والطاعة، وجعل سبحانه الذل والهوان قرين الكفر والعصيان، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨].

فالعزة لله تعالى ولمن جعلها الله تعالى له، فمن أراد العزة فليطلبها من الله وحده وليعمل بأسبابها قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر:١٠] قال الإمام ابن كثير: أي: مَنْ كان يحب أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة، فليلزم طاعة الله، فإنه يحصل له مقصوده؛ لأن الله مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعها[(١)]. فمن والى الله وعمل بطاعته فإن الله وليه، ومن كان الله وليه لا يذل أبدًا، ولقد كان ﷺ يقول في قنوته: «**وإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت**»[(٢)].

والعزة للمؤمنين حتى إذا أصاب المشركون من المسلمين كما حدث في يوم أحد بسبب مخالفة بعض الرماة لأمر النبي ﷺ وتركهم أماكنهم ورغبتهم في الغنائم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩] فمع أن المسلمين أصيبوا يوم أحد لكن بقيت لهم عزة الإيمان.

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٥٣٦.

(٢) جزء من حديث أخرجه أبو داوود عن الحسن بن علي رضي الله عنهما كتاب الوتر/ باب القنوت في الوتر ١/ ٥٣٦ ح ١٤٢٧، والحديث صححه الشيخ الألباني، انظر صحيح سنن أبو داوود ٥/ ١٦٨ ح ١٢٨١.

إن من يخالفون أمر الله ورسوله من المؤمنين يصيبهم من الذل والصغار على قدر معاصيهم، ولكن تبقى لهم عزة الإيمان.

يقول الإمام ابن تيمية: العاصي يناله من الذلة والكبت بحسب معصيته، وإن كان له من عزة الإيمان بحسب إيمانه كما يناله من الذم والعقوبة[١].

أخرج الإمام أحمد قال حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ ثَابِتِ بْنِ ثَوْبَانَ حَدَّثَنَا حَسَّانُ بْنُ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي مُنِيبٍ الجُرَشِيِّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»[٢].

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ١/ ٣٥، دار ابن حزم - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤١٧ تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري.

(٢) المسند ٢/ ٥٠ ح ٥١١٥ إسناد الحديث أبو النضر هاشم بن القاسم - ثقة ثبت (تقريب التهذيب ٥٧٠ ت ٧٢٥٦) عبد الرحمن بن ثابت - صدوق يخطئ (تقريب التهذيب ٣٢٧ ت ٣٨٢٠) حسان بن عطية - ثقة فقيه (تقريب التهذيب ١٥٨ ت١٢٠٤) أبو منيب هو أبو المنيب الجرشي - ثقة (تقريب التهذيب ٦٧٦ ت ٨٣٩٥) ابن عمر رضي الله عنهما - الحكم على الحديث فيه عبد الرحمن بن ثابت - صدوق يخطئ ولكنه لم ينفرد به فقد رواه فقد أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار من طريق الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن أبي منيب الجرشي، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما به (شرح مشكل الأثار ١/ ٢٣٨ ح ١٩٨)، والوليد بن مسلم ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية (تقريب التهذيب ٥٨٤ ت ٧٤٥٦) وتدليس التسوية صورته (أن يجئ المدلس إلى حديث سمعه من شيخ ثقة وقد سمعه ذلك الشيخ الثقة من شيخ ضعيف وذلك الشيخ الضعيف يرويه عن شيخ ثقة، فيعمل المدلس الذي سمع الحديث من الثقة الأول، فيسقط منه شيخ شيخه الضعيف ويجعله من رواية شيخه الثقة عن الثقة الثاني بلفظ محتمل كالعنعنة ونحوها؛ فيصير الإسناد كله ثقات، ويصرح هو بالاتصال بينه وبين شيخه لأنه قد سمعه منه فلا يظهر حينئذ في الإسناد ما يقتضى عدم قوله إلا لأهل النقد والمعرفة بالعلل.) التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح ٩٦ (تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان الناشر: محمد =

وأخرج أبو داوود بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذُلًّا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»(١).

ومن الذل الذي يضربه على العصاة من المؤمنين ظلم الحكام والفقر وشدة الحاجة وتسليط أعداءهم عليهم، كما جاء في الحديث الذي أخرجه ابن ماجة عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: «**وَلَمْ يَنْقُصُوا المِكْيَالَ وَالمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ المَؤُنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا القَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلاَ البَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ الله عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ**»(٢).

=

عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) قلت: الأوزاعي معروف بروايته عن حسان بن عطية بلا واسطة فإذا افترضنا أن الوليد دلسه فعن غير عبر الرحمن بن ثابت لأني لم أقف عليه في مشايخ الأوزاعي كما لم أقف على الأوزاعي في تلاميذ عبد الرحمن والحديث أخرجه أيضاً أبو نعيم الأصبهاني عن أنس رضي الله عنه بسند ضعيف من طريق الحجاج بن يوسف بن قتيبة ثنا بشر بن الحسين الأصبهاني ثنا الزبير بن عدي عن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه به (أخبار أصبهان ٢/ ٨٥ ح ٤٢٧) وهذا إسناد ضعيف؛ لأن فيه بشر بن الحسين أحد المتروكين انظر الضعفاء والمتروكين ١/ ١٤٢ ت ٥٢٢ تحقيق عبد الله القاضي – دار الكتب العلمية – بيروت. وأخرجه ابن أبي شيبة عن طاووس مرسلا المصنف ٥/ ٣٢٢ ح ١٩٧٨٣وكل هذا يثبت أن عبد الرحمن بن ثابت لم ينفرد بالحديث؛ فالحديث حسن، وقد صححه الألباني في إرواء الغليل ٥/ ١٠٩.

(١) كتاب الإجارة/ باب في النهى عن العينة ٣/ ٢٩١ ح ٣٤٦٤، وصححه الألباني انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ٤٣ ح ٤٢٤.

(٢) جزء من حديث أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الفتن/ باب في العقوبات ٢/ ١٣٣٢ ح ٤٠١٩، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/ ٢١٦ ح ٤٠٠٩.

إن للمنكرات أضرار لا تكاد تحصى، وقد ذكر الإمام ابن القيم طرفًا منها فقال: قلة التوفيق وفساد الرأي وخفاء الحق وفساد القلب، وخمول الذكر وإضاعة الوقت ونفرة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربه ومنع اجابة الدعاء وقسوة القلب، ومحق البركة في الرزق والعمر وحرمان العلم، ولباس الذل وإهانة العدو وضيق الصدر والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت، وطول الهم والغم وضنك المعيشة وكسف البال تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله كما يتولد الزرع عن الماء والإحراق عن النار، وأضداد هذه تتولد عن الطاعة[1].

وكل هذا في الدنيا، فمن تنبه ونزع وعاد إلى ربه تاب الله عليه وإن أصر العباد على فعل المنكرات ومخالفة باريء الأرض والسماوات فالنتيجة الحتمية عذاب النار وهو العذاب الأكبر قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١] العذاب الأكبر هو ما يكون في القيامة وهو عذاب النار أعده الله لمن تنكب طريقه المستقيم وعصى الله ورسوله قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء:١٤].

فالكفار مخلدون في النار أبدًا قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر:٣٦-٣٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف:٧٤-٧٧].

---

(١) الفوائد ٣٢: ٣٣، دار الكتب العلمية – بيروت.

وهذا الخلود على التأبيد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥].

وأما عصاة المؤمنين الذين ماتوا دون توبة وغلبت سياتهم حسناتهم فإنهم يعذبون في النار على قدر ذنوبهم ثم يخرجون من النار، أخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يوضع الصراط بين ظهري جهنم عليه حسك كحسك السعدان ثم يستجيز الناس فناج مسلم ومجدوح به ثم ناج ومحتبس به منكوس فيها، فإذا فرغ الله عز وجل من القضاء بين العباد يفقد المؤمنون رجالا كانوا معهم في الدنيا يصلون بصلاتهم ويزكون بزكاتهم ويصومون صيامهم ويحجون حجهم ويغزون غزوهم.**

فيقولون: أي ربنا عباد من عبادك كانوا معنا في الدنيا يصلون صلاتنا ويزكون زكاتنا ويصومون صيامنا ويحجون حجنا ويغزون غزونا لا نراهم، فيقول: اذهبوا إلى النار فمن وجدتم فيها منهم فأخرجوه قال: فيجدونهم قد أخذتهم النار على قدر أعمالهم؛ فمنهم من أخذته إلى قدميه ومنهم من أخذته إلى نصف ساقيه ومنهم من أخذته إلى ركبتيه ومنهم من أزرته ومنهم من أخذته إلى ثدييه ومنهم من أخذته إلى عنقه، ولم تغش الوجوه فيستخرجونهم منها فيطرحون في ماء الحياة».

قيل: يا رسول الله وما ماءُ الحياة؟ قال: «**غسل أهل الجنة فينبتون نبات الزرعة – وقال مرة: فيه- كما تنبت الزرعة في غثاء السيل، ثم يشفع الأنبياء في كل من كان يشهد أن لا إله إلا الله مخلصا، فيخرجونهم منها**» قال: «**ثم يتحنن الله برحمته على من فيها فما يترك فيها عبدًا في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا أخرجه منها**»[1].

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**يُدْخِلُ**

(١) ٣/ ١١ ح ١١٠٩٦ والحديث حسنه شعيب الأرناؤوط.

الله أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَمًا قَدِ امْتَحَشُوا. فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الحَيَاةِ أَوِ الحَيَا فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً»[1].

فالعصاة من المؤمنين يخرجون من النار، وأما الكفار فهم مخلدون في النار لا يخرجون منها أبدًا حسب الخبر عن الله تعالى.

النهي الثالث في الآية: البغي:

﴿ٱلْبَغْىُ﴾: (بغي) الباء والغين والياء أصلان: أحدهما طَلَب الشيء، والثاني جنسٌ من الفَساد. فمن الأوّل بَغَيْتُ الشيء أبْغِيه إذا طلبتَه. ويقال: بَغَيْتُك الشيءَ إذا طلبته لك، وأبغَيْتُك الشّيءَ إذا أَعَنْتُكَ على طَلَبه.

والبِغْية الحاجة. وتقول: ما ينبغي لك أن تفعل كذا. وهذا مِن أفعال المطاوَعَة، تقول بَغيْتُ فانبغَى، كما تقول كسرتُه فانكَسَر.

والثاني: قولهم بَغَى الجرح، إذا تَرامَى إلى فساد، ثم يشتقّ من هذا ما بَعْدَه.

فالبغيّ الفاجِرةُ، تقول بَغَتْ تَبْغي بِغاءً، وهي بَغِيّ.

ومنه أن يبغي الإنسانُ على آخَرَ.

ومنه بَغْيُ المَطَر، وهو شِدّتُه ومُعْظَمُه.

وإذا كان ذا بَغْيٍ فلا بدّ أنْ يقَعَ منه فسادٌ.

قال الأصمعي: دَفَعْنا بَغْيَ السّماءِ خَلْفَنا، أي مُعْظَم مَطَرِها.

والبَغْي: الظُلم. قال:

---

(١) كتاب الإيمان/ باب إِثْبَاتِ الشَّفَاعَةِ وَإِخْرَاجِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ ١/ ١٧٧ ح ٤٧٥.

(ولكـــنَّ الفَتَـــى حَمَـــلَ بـــنَ بَـــدْرٍ ** بَغَـى، والبَغْـيُ مَرْتَعُـهُ وَخِـيم[١])[٢]

وبغى تكبر وذلك لتجاوزه منزلته إلى ما ليس له ويستعمل ذلك في أي أمر كان.

قال الراغب: البغي: طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى تجاوزه أو لم يتجاوزه، فتارة يعتبر في القدر الذي هو الكمية، وتارة يعتبر في الوصف الذي هو الكيفية يقال بغيت الشي إذا طلبت أكثر ما يجب وابتغيت كذلك، قال عز وجل: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة:٤٨].

والبغي على حزبين: أحدهما محمود وهو تجاوز العدل إلى الإحسان والفرض إلى التطوع. والثاني مذموم وهو تجاوز الحق إلى الباطل أو تجاوزه إلى الشبه. ولأن البغي قد يكون محمودا ومذموما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الشورى:٤٢] فخص العقوبة ببغيه بغير الحق.

وقد ورد في القرآن لفظ البغي على خمسة أَوجه:

الأَوّل: بمعنى الظُّلم: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾، ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ﴾ [الأعراف:٣٣].

الثاني: بمعنى المعصية، والزَّلّة، ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾ [يونس:٢٣] أَي: يعصون.

الثالث: بمعنى الحَسَد: ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣] أَي حسدًا.

الرَّابع: بمعنى الزِّنى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ [النور:٣٣].

الخامس: بمعنى الطلب: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٤٥] أَي يطلبون لها اعوجاجًا،

---

(١) البيت ينسب إلى قيس بن زهير(انظر نهاية الأرب في فنون الأدب ١٥/ ٢٧٦ - دار الكتب العلمية - بيروت).

(٢) معجم مقاييس اللغة ١/ ٢٧١: ٢٧٢.

﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل:٢٠]. والبغي في أكثر المواضع مذموم(١).

وقال المفسرون: البغي: هو العدوان والظلم والتعدي والحقد والاستعلاء على الغير، وحقيقته تجاوز الحد ومن ثم دخل فيه جميع ما ذكر.

والبغي أحد أنواع الفحشاء والمنكر فهو داخل تحتهما، وقد أفرده الله تعالى بالذكر اهتمامًا بالنهي عنه لشدة ضرره، وسدًّا لذريعة وقوعه، ولفشوه بين الناس(٢).

وقيل: البغي ناتج عن القوة البشرية الثالثة التي تحتاج إلى تهذيب وهي القوة الوهمية الشيطانية.

قال الإمام الفخر: وأما القوة الوهمية الشيطانية فهي أبدًا تسعى في الاستعلاء على الناس والترفع وإظهار الرياسة والتقدم، وذلك هو المراد من البغي؛ فإنه لا معنى للبغي إلا التطاول على الناس والترفع عليهم(٣).

وعطف البغي على المنكر من باب عطف الخاص على العام.

خطورة البغي:

البغي: هو العدوان والظلم والتعدي والحقد والاستعلاء والاستطالة على الغير؛ وهذه الأفعال تؤدي إلى التدابر والتقاطع والعداء ووقوع الفساد في الأرض بشتى صوره وأشكاله؛ ولهذا نهي الله تعالى عنه وحرمه في جميع الشرائع.

---

(١) المفردات ٥٦، بصائر ذوي التمييز ٢/ ٢٦٢: ٢٦٣ بتصرف واختصار منهما.

(٢) انظر القرطبي ١٠/ ١٦٧، روح المعاني ١٤/ ٢١٨،النكت والعيون للماوردي ٣/ ٢٠٩، تفسير ابن كثير ٤/ ٥٩٦، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤/ ٣٠٤ والبحر المديد ٤/ ٧٤،وفتح القدير ٤/ ٢٥٥،التحرير والتنوير ١٤/ ٢٥٨، وروح البيان ٥/ ٥٥ من جميعها بتصرف كبير.

(٣) الفخر ٢٠/ ٢٦٣.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣].

وأخرج أبو داوود بإسناد حسن عن عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد»**(١).

وقد جعل الله تعالى الإثم والحرج على فاعله قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى:٤٢].

والبغي يعود شؤمه وضرره على فاعله قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يونس:٢٣] فالبغي يعود على فاعله بالشر والهلاك.

وقد قيل: من سل سيف البغي قتل به(٢).

---

(١) كتاب الأدب/ باب في التواضع ٤/ ٤٣٥ ح ٤٨٩٧ إسناده قال أبو داوود حدثنا أحمد بن حفص قال: حدثني أبى حدثني إبراهيم بن طهمان عن الحجاج عن قتادة عن يزيد بن عبد الله عن عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

أحمد بن حفص بن عبد الله قال الحافظ في صدوق. انظر: التقريب (٧٨ ت ٢٧) حفص بن عبد الله صدوق. انظر: التقريب (١٧٢ ت ١٤٠٨).

إبراهيم بن طهمان ثقة. انظر التقريب (٩٠ ت ١٨٩)، الحجاج حجاج بن حجاج الباهلي ثقة. انظر: التقريب (١٥٢ ت ١١٢٣).

قتادة بن دعامة السدوسي ثقة ثبت. انظر: التقريب (٤٥٣ ت ٥٥١٨) يزيد بن عبد الله بن الشخير ثقة. انظر التقريب (٦٠٢ ت ٧٧٤٠).

عياض بن حمار صحابي جليل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحكم على الحديث: فيه أحمد بن حفص وأبوه وكلاهما صدوق؛ فالحديث حسن

(٢) ينسب هذا الكلام للإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انظر الإعجاز والإيجاز (٣٣) دار الغصون - بيروت/ لبنان - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م الطبعة: الثالثة.

فالبغي يصرع فاعله ولو كان الباغي جبلًا، أخرج البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا موقوفًا عليه قال: لو أن جبلًا بغى على جبلٍ لدك الباغي[١].

وكان الخليفة المأمون يتمثل بهذين البيتين:

يا صاحب البغي إن البغي مصرعة ** فأربع فخير فعال المرء أعدله

فلو بغى جبل يومًا على جبل ** لاندك منه أعاليه وأسفله[٢]

والبغي أخو قطيعة الرحم، فكلاهما من الذنوب التي تعجل عقوبتها في الدنيا، مع ما ينتظر صاحبه يوم القيامة من العذاب.

أخرج الإمام أحمد عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من ذنب أحرى أن يعجل بصاحبه العقوبة مع ما يؤخر له في الآخرة من بغى أو قطيعة رحم**»[٣]، فهما أسرع الذنوب عقوبة في الدنيا.

وقد كان البغي سببًا في هلاك من تعاطوه كفرعون وجنوده حين خرجوا خلف بني إسرائيل قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢﴾ [يونس:٩٠-٩٢].

---

(١) الأدب المفرد باب البغي ٢٠٦ ح٥٨٨ وصححه الشيخ الألباني انظر صحيح الأدب المفرد ٢٣٤.

(٢) البيتان ذكرهما الخطيب القزويني في الإيضاح في علوم البلاغة ٣٨٧، دار إحياء العلوم - بيروت الطبعة الرابعة، ١٩٩٨، تفسير الفخر الرازي ١٧/ ٢٣٦، وانظر تفسير الكشاف ٢/ ٣٢٤: ٣٢٥.

(٣) مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٨ ح ٢٠٤١٤ وقال شعيب الأرنئوط: إسناده صحيح.

وكذلك كان بغي قارون على قومه سببًا في هلاكه، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦] فكانت نتيجة بغيه إن خسف الله به وبكنوزه الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص:٨١].

فالبغي سبب في هلاك متعاطيه فردًا كان أو أمة؛ إذ يستحيل بقاء مجتمعًا من المجتمعات على البغي والعدوان.

وقد فسر بعضهم المنهيات الثلاث (الفحشاء - المنكر - البغي) بما يقابل المأمورات الثلاث (العدل - الإحسان - إيتاء ذي القربى).

قال الإمام الألوسي: وقيل: المراد بالفحشاء مقابل العدل ويفسر بما خرج عن سنن الاعتدال إلى جانب الإفراط. وبالمنكر ما يقابل الإحسان ويفسر بما أتي به على غير اللائق بل على وجه ينكر ويستقبح، البغي ما يقابل إيتاء ذي القربى[١].

وقال الإمام الخازن: إن الله سبحانه وتعالى ذكر من المأمورات ثلاثة أشياء، ومن المنهيات ثلاثة أشياء، فذكر: العدل وهو الإنصاف، والمساواة في الأقوال والأفعال، وذكر في مقابلته الفحشاء، وهي ما قبح من الأقوال والأفعال.

وذكر الإحسان، وهو أن تعفو عمن ظلمك وتحسن إلى من أساء إليك، وذكر في مقابلته المنكر، وهو أن تنكر إحسان من أحسن إليك.

وذكر إيتاء ذي القربى، والمراد به صلة القرابة والتودد إليهم، والشفقة عليهم وذكر في مقابلته البغي، وهو أن يتكبر عليهم أو بظلمهم حقوقهم[٢].

---

(١) روح المعاني ١٤/ ٢١٩.

(٢) تفسير الخازن ٤/ ١١١.

قلت: وما تضمنته الآية أعم مما ذكروه فالله تعالى أمر بثلاث لم تترك حلالًا مأمورًا به أو محبوبًا مرغوبًا فيه إلا وهو داخل في الأمر.

ونهي عن ثلاث لم تترك منهيًا عنه حرامًا أو مكروهًا مستقبحًا إلا وهو داخل في النهي.

فمن الممكن أن نفسر الأمور التي نهي الله تعالى عنها جملة بما يقابل الأمور التي أمر بها جملة. ويكون جمع بين الأمر والنهي مع أن الأمر بالشيء نهي عن ضده والنهي عن شيء أمر بضده للتأكيد عليها تنبيهًا للمخاطب على الاهتمام والاعتناء بها، والله أعلم

ختام الآية:

ثم جاء ختام الآية بهذا الخطاب الرائع قال تعالى: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠]

﴿يَعِظُكُمْ﴾ قال ابن منظور: الوَعْظ والعِظةُ والعَظةُ والمَوْعِظةُ النُّصْح والتذْكير العَواقِب، قال ابن سيده: هو تذكيرك للإِنسان بما يُلَيِّن قلبَه من ثواب وعِقاب[1].

وقال الراغب: الوعظ زجر مقترن بتخويف. قال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب[2].

فالوعظ هو: النصح والتذكير بكلام يشتمل على الترغيب والترهيب لحمل المخاطب على الطاعة والالتزام بأمر الله والبعد عن معاصيه تعالى.

وقد جاء الوعظ في هذه الآية بأوامر الله ونواهيه.

قال الإمام ابن كثير: ﴿يَعِظُكُمْ﴾ أي: يأمركم بما يأمركم به من الخير، وينهاكم عما

---

(١) لسان العرب ٧/ ٤٦٦.

(٢) المفردات ٥٢٧ وانظر التعريفات ٧٢٨.

ينهاكم عنه من الشر[١].

فإن قيل: إن الوعظ يكون بالترغيب والترهيب ونحو ذلك من الأمور المرققة للقلوب، وليس بالأمر والنهي؟

فالجواب كما قال الشيخ الشنقيطي: ضابط الوعظ: هو الكلام الذي تلين له القلوب، وأعظم ما تلين له قلوب العقلاء أوامر ربهم ونواهيه؛ فإنهم إذا سمعوا الأمر خافوا من سخط الله في عدم امتثاله، وطمعوا فيما عند الله من الثواب في امتثاله، وإذا سمعوا النهي خافوا من سخط الله في عدم اجتنابه، وطمعوا فيما عنده من الثواب في اجتنابه؛ فحداهم حادي الخوف والطمع إلى الامتثال، فلانت قلوبهم للطاعة خوفًا وطمعًا[٢].

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: من المعلوم أن (لعل) تستعمل للرجاء وهو طلب الشيء المتوقع حصوله والإلحاح عليه كما تقول: لعل الله يغفر لي، وفي التنزيل على لسان فرعون ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾ [غافر: ٣٦].

والرجاء بهذا المعنى محال في حقه - تعالى- لأنه يستلزم العجز، والعجز نقص يتنافى مع كمال الله وقدرته المطلقة، ومن هنا تكاثرت أقوال المفسرين محاولين صرف (لعل) عن بابها، ولهم في ذلك ثلاثة أقوال:-

الأول: أن لعل هنا تعليلية.

قال الإمام ابن جرير: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: يذكركم أيها الناس ربكم لتذكروا فتنيبوا إلى أمره ونهيه، وتعرفوا الحقّ لأهله[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٩٦.

(٢) أضواء البيان ٢/ ٤٣٨.

(٣) جامع البيان ١٧/ ٢٨٠.

وقال الإمام الخازن: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لكي تتعظوا وتتذكروا فتعملوا، بما فيه رضا الله تعالى[١].

الثاني: الترجي مجاز عن إرادة الله تعالى أو طلبه أن يتذكروا.

قال الزمخشري في مثيلات هذه الآية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ إرادة أن تذكروا وتتعظوا[٢].

وقال الفخر الرازي: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ليس المراد منه الترجي والتمني؛ فإن ذلك محال على الله تعالى، فوجب أن يكون معناه أنه تعالى يعظكم لإرادة أن تتذكروا طاعته[٣].

وقال الإمام أبو السعود: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ طلبًا لأن تتعظوا وتنتبهوا[٤].

القول الثالث: أبقى أصحابه لعل على حقيقتها، ولكنهم جعل الترجي في حق البشر لا في حق الله تعالى.

قال الإمام ابن عطية في مثيلات هذه الآية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ترج بحسبنا[٥].

وقال الإمام البقاعي: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي ليكون حالكم حال من يرجى تذكره[٦].

---

(١) تفسير الخازن ٤/ ١١١ .

(٢) الكشاف ٣/ ٢٣٣ .

(٣) الفخر ٢٠/ ٢٦٣.

(٤) تفسير أبي السعود ٥/ ١٣٦، وانظر روح المعاني ١٤/ ٢٢٠.

(٥) المحرر الوجيز ٢/ ٤٢٦.

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤/ ٣٠٥.

وفي هذا القول المجاز حيث جعل ما ظاهره الإسناد إلى الله تعالى إلى البشر.

والتوجيهات الثلاثة حسنة مقبولة وأحسنها عندي أن لعل هنا تعليلية، والله أعلم.

والخطاب في قوله: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ للناس جميعًا كما قال الإمام الطبري: يذكركم أيها الناس[١].

وقال الشيخ الطاهر بن عاشور: الخطاب للمسلمين؛ لأن الموعظة من شأن من هو محتاج للكمال النفساني؛ ولذلك قارنها بالرجاء بلعلكم تذَّكرون[٢].

والصواب أن الخطاب للناس جميعًا وليس كما قال الشيخ الطاهر ابن عاشور: فالوعظ زجر ونصح مقترن بترهيب وترغيب يقصد به إبعاد المخاطب المسلم وغير المسلم عن الشر والفساد، والآية مكية وهي مما كان يتلوه النبي ﷺ على الناس عندما كان يدعوهم إلى الإسلام ويعرفهم به؛ فهي تبين محاسن الإسلام. والأوامر التي أمر الله تعالى بها فيها شملت الإيمان وما تحته من الأعمال، والنواهي التي نهي الله عنها فيها شملت الكفر وما دونه من الأعمال؛ فالخطاب للناس جميعًا.

والمعنى وعظناكم أيها الناس بما وعظناكم به من الأوامر والنواهي في هذه الآية كي تتذكروها وتتذكروا موعود الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية؛ فيحملكم هذا التذكر على العمل بطاعة الله واجتناب معاصيه.

والله أعلم.

وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) جامع البيان ١٧/ ٢٨٠.

(٢) التحرير والتنوير ١٤/ ٢٦٠.

مصادر البحث

١- القرآن الكريم: جلَّ من أنزله.

٢- الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي.

٣- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الثانية - ١٤٠٥ - ١٩٨٥.

٤- الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير المؤلف: الدكتور / محمد بن محمد أبو شهبة رَحِمَهُ اللَّهُ الناشر: مكتبة السنة.

٥- الإصابة في تمييز الصحابة المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: دار الجيل - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٢ تحقيق: علي محمد البجاوي.

٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان الطبعة: ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥.

٧- إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون: المؤلف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي (١٠٦٧هـ) دار الكتب العلمية - بيروت، سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

٨- بحر العلوم المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي دار النشر: دار الفكر - بيروت تحقيق: د.محمود مطرجي.

٩- البحر المديد ـ موافق للمطبوع المؤلف: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس دار النشر / دار الكتب العلمية ـ بيروت - الطبعة الثانية / ٢٠٠٢ م ـ ١٤٢٣ هـ.

١٠- البرهان في علوم القرآن المؤلف: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاؤه.

١١- تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي تحقيق مجموعة من المحققين دار الهداية.

١٢- تاريخ بغداد المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

١٣- التبيان في أقسام القرآن المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله: دار الفكر.

١٤- التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية المؤلف: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.

١٥- تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين أبي زرعة العراقي سنة الولادة / سنة الوفاة ٨٢٦هـ تحقيق عبد الله نوارة الناشر مكتبة الرشد سنة النشر ١٩٩٩م مكان النشر الرياض.

١٦- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المؤلف: محمد بن محمد العمادي أبو السعود الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٧- تفسير البحر المحيط ـ المؤلف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م الطبعة: الأولى تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض شارك في التحقيق: ١- د.زكريا عبد المجيد النوقي. ٢- د.أحمد النجولي الجمل.

١٨- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل) المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن دار النشر: دار الفكر - بيروت / لبنان -١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

١٩- تفسير السراج المنير ـ المؤلف: محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين دار النشر / دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٠- تفسير العلامة محمد العثيمين المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) مصدر الكتاب: موقع العلامة العثيمين.

٢١- تفسير الفخر الرازى ـ المؤلف: محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين ولد بالري من أعمال فارس من تصانيفه الكثيرة: مفاتيح الغيب من القرآن الكريم. عدد الأجزاء / ٣٢ دار النشر / دار إحياء التراث العربى.

٢٢- تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة :دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩.

٢٣- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) المحقق: هشام سمير البخاري الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٤- تفسير الماوردى النكت والعيون المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم.

٢٥- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي دار الفكر المعاصر - دمشق الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ

٢٦- التفسير الوسيط المؤلف: محمد سيد طنطاوي مصدر الكتاب: موقع التفاسير http://www.altafsir.co

٢٧- تفسير روح البيان المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي دار النشر / دار إحياء التراث العربي.

٢٨- التفسير والمفسرون المؤلف: الدكتور محمد حسين الذهبى.

٢٩- تقريب التهذيب أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي سنة الولادة ٧٧٣/ سنة الوفاة ٨٥٢ تحقيق محمد عوامة الناشر دار الرشيد سنة النشر ١٤٠٦ - ١٩٨٦ مكان النشر سوريا.

٣٠- جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٣١- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري الناشر: دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة .

٣٢- الجامع لأحكام القرآن المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) المحقق: هشام سمير البخاري الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: محمود الألوسي أبو الفضل الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت تفسير السلمي وهو حقائق

التفسير أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي سنة الولادة / سنة الوفاة ٤١٢هـ تحقيق سيد عمران الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكان النشر لبنان/ بيروت.

٣٤- زاد المسير في علم التفسير المؤلف: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) مصدر الكتاب: موقع التفاسير.

http://www.altafsir.com

٣٥- السلسلة الصحيحة المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني: مكتبة المعارف - الرياض.

٣٦- سنن ابن ماجه المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني دار الفكر - بيروت تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٧- سنن أبي داود المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٣٨- سنن الدارقطني المؤلف: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦ - ١٩٦٦ تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني

٣٩- سنن النسائي الكبرى المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩١ تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن.

٤٠- سورة الفجر بناء عجب وأقسام أروع المؤلف الأستاذ / عمرو الشاعر ملفات وورد (ملتقى أهل التفسير).

٤١- الشرح اليسير على مقدمة أصول التفسير تأليف (د. مهران ماهر عثمان).

٤٢- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) مصدر الكتاب: موقع الإسلام.

http://www.al-islam.com

٤٣- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني : المكتب الإسلامي.

٤٤- في ظلال القرآن المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) مصدر الكتاب: موقع التفاسير.

http://www.altafsir.com

٤٥- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة المؤلف: شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) مصدر الكتاب: موقع يعسوب.

٤٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: عبد الرزاق المهدي

٤٧- الكشف والبيان المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م الطبعة: الأولى تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور.

٤٨- اللباب في علوم الكتاب المؤلف: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م الطبعة: الأولى تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.

٤٩- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري دار صادر - بيروت.

٥٠- مجموع الفتاوى المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: أنور الباز - عامر الجزار الناشر: دار الوفاء الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.

٥١- محاسن التأويل المؤلف: محمد جمال الدين القاسمي مصدر الكتاب: برنامج تاج الأصول من أحاديث الرسول.

٥٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م الطبعة: الأولى تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

٥٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني الناشر: مؤسسة قرطبة - القاهرة.

٥٤- معالم التنزيل: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

٥٥- المعجم الأوسط المؤلف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني الناشر: دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥ تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد،عبد المحسن بن إبراهيم الحسين.

٥٦- معجم مقاييس اللغة المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥٧- المفردات في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد سنة الولادة / سنة الوفاة ٥٠٢هـ تحقيق محمد سيد كيلاني دار المعرفة .

٥٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) مصدر الكتاب: موقع التفاسير.

http://www.altafsir.com

٥٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي.

٦٠- هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: المؤلف:مصطفى عبد الله القسطنطيني (١٠٦٧هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

<><> <><> <><>

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الفصل الأول: فضل الآية وأقوال العلماء فيها	٨
المبحث الأول: التعريف بسورة النحل	٨
اسمها	٨
عدد آياتها	٩
سبب نزولها	٩
مكان نزولها	٩
ترتيب نزولها	١٠
مقاصد السورة	١٠
المبحث الثاني: فضل الآية وأقوال العلماء فيها	١٢
نزول الآية	١٢
صلة الآية بما قبلها وما بعدها	١٤
ما تضمنته الآية	١٦
فضل الآية وأقوال العلماء فيها.	١٦
أهم الدراسات السابقة	٢٠
الفصل الثاني	
الأوامر والنواهي التي بها قوام المجتمع وبقاؤه	٢١
المبحث الأول: المأمورات	٢١
الأمر الأول: العدل	٢٢

الموضوع	الصفحة
صور العدل	٢٦
العدل في معاملة العبد مع خالقه.	٢٦
العدل في معاملة العبد مع الخلق.	٣٠
أولا: العدل في الحكم	٣١
ثانيا:العدل في الشهادة والقضاء	٣٨
ثالثا: العدل داخل الأسرة	٤٥
رابعا: العدل في الكيل والميزان	٥٠
خامسًا: العدل مع النفس.....	٥٣
الأمر الثاني: الإحسان	٥٧
صور الإحسان	٦١
الإحسان في عبادة الله تعالى.	٦١
الإحسان في الأعمال الدنيوية.	٦٤
الإحسان إلى النفس.	٦٦
الأمر الثالث:- إيتاء ذي القربى	٦٦
المبحث الثاني: المنهيات	٧١
النهي الأول: الفحشاء	٧١
أقسام الفواحش	٧٥
أولا: الفواحش الظاهرة	٧٥
ثانيا: الفواحش الباطنة	٧٥
أنواع الفواحش	٧٦
أولا: فواحش فعلية.	٧٧

الموضوع	الصفحة
العلاقات الجنسية المحرمة	٧٧
الزنا	٧٨
مفاسد وأضرار الزنا على الفرد والمجتمع	٧٨
أضرار الزنا الصحية.....	٨١
اللواط	٨١
مفاسد ومضار اللواط على الفرد والمجتمع	٨٣
الأضرار الصحية للواط	٨٥
شرب الخمر	٨٦
أضرار الخمر على الفرد	٩٠
أضرار الخمر الصحية	٩٤
ضرر الخمور على المجتمع	٩٥
ثانيًا: الفواحش القولية	٩٦
ثالثًا: الفواحش القلبية	١٠٠
أنواع الفواحش القلبية	١٠٠
الرياء	١٠٠
الحقد	١٠٤
النهي الثاني «المُنكَرِ»	١٠٨
أضرار المنكرات.....	١١١
النهي الثالث في الآية: البغي	١٢٦
خطورة البغي	١٢٨
ختام الآية.....	١٣٢

الموضوع	الصفحة
فهرس المصادر	١٣٦
فهرس الموضوعات	١٤٤

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه،،،

<><> <><> <><>